

برنامج "في ظلال الكلمة" كُتَيْب رَقْم ٥ أَيُّوب، مَزَامِير، أَمْثَال، جَامِعَة، وَنَشِيد الْأَنْشَاد

Mini Bible College
Study Booklet # 5
Job, Psalms, Proverbs, Ecclesiastes
and The Song of Solomon

بِقَلَم: القسّ الدكتور دِكْ وُودُورْد
تَرْجَمَة: القسّ الدكتور بيار فرنسيس

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

الأسفار الشعريّة

في هذا الكُتَيْب، سوف نبدأ دراسة "الأسفار الشعرية" في العهد القديم، والتي هي: أيوب، مزامير، أمثال، جامعة، ونشيد الأنشاد. وهذه الأسفار تُصنّف أحياناً كأسفار الحكمة، أو كالكتابات، بهدف تمييزها عن أسفار الناموس والأنبياء والأسفار التاريخية.

لقد أخذت الأسفار الشعريّة مكانها بين أسفار الوحي، لأنّ الشعر هو لغة القلب، والله يعرف مقدار أهميّة ما تُشير إليه الأسفار المقدّسة بأنّه قلب شعبه.

في هذا الجزء من الكتاب المقدّس، يتكلّم الله إلى قلوب شعبه المتألّم في أيوب، والعايد في المزامير، والمنهمك بالأمر اليوميّة للحياة الزوجيّة والعائليّة وتربية الأولاد والتعامل التجاري في الأمثال، والمشكك في الجامعة، وأخيراً يتكلّم الله إلى قلوب شعبه عندما يُعبّرون عن بهجة الوحدة الجسديّة الحميمة بين الزوج والزوجيّة في نشيد الأنشاد.

يُظهر الله إهتمامه الحيويّ بقلوبنا من خلال إعطائه لنا خمسة أسفار في هذه المكتبة الشعريّة المقدّسة، التي تُشكّل لغة القلب. بينما نقرأ هذه الأسفار الشعريّة الخمسة، علينا أن نتحسّن إصبع الله يضغط على قلوبنا – أي على إنساننا الداخليّ – ملحاً علينا لنكون صادقين في إيماننا، وأن نتغيّر من خلال إختبارنا لله من الدّاخل إلى الخارج. لهذا أعطانا الله هذه الأسفار الشعريّة الخمسة.

الفصل الأول

سِفْرُ أَيُّوبِ

بِحَسَبِ أَوَّلِ سِفْرِ مِنَ الْأَسْفَارِ الشَّعْرِيَّةِ الْخَمْسَةِ، الْحَيَاةُ صَعْبَةٌ، وَيُمْكِنُهَا أَنْ تَمْتَلِيَّ بِالْأَلَامِ الْمُبَرَّحَةِ وَالْمُرْبِكَةِ. وَشَعَبُ اللَّهِ طَالَمَا تَأَلَّمَ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ. فَمُنْذُ نَهَايَةِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ حَتَّى الْيَوْمِ فَاقَ عَدَدُ الَّذِينَ تَأَلَّمُوا وَضَحُّوا بِحَيَاتِهِمْ بِالْمَوْتِ لِأَجْلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ، عَدَدَ جَمِيعِ الَّذِينَ اسْتَشْهَدُوا مِنْ أَجْلِ إِيْمَانِهِمْ بِالْمَسِيحِ فِي تَارِيخِ الْمَسِيحِيَّةِ. وَمَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ أَبْكَرَ أَسْفَارِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ كِتَابَةً، يُخْبِرُنَا أَنَّ الْأَلَمَ وَالْمُعَانَاةَ لَا مَفَرَّ مِنْهُمَا، أَمَّا التَّعَاسَةُ فَيُمْكِنُ تَحَاثِيهَا. سِفْرُ أَيُّوبِ هُوَ رِسَالَةٌ لِلَّهِ إِلَى قُلُوبِ شَعْبِهِ عِنْدَمَا تُعَانِي قُلُوبُهُمْ مِنَ الْأَلَمِ.

يُؤْمِنُ الْكَثِيرُونَ أَنَّ سِفْرَ أَيُّوبِ كُتِبَ فِي مَرَحَلَةِ الْآبَاءِ. وَنَقَرَأُ أَنَّ أَيُّوبَ عَاشَ بَعْدَ تَجْرِبَةِ أَلَمِهِ، لِمُدَّةِ مِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَمَاتَ شَبَعَانَ أَيَّامًا. (أَيُّوبِ ٤٢ : ١٧) وَمُدَّةُ حَيَاتِهِ الطَّوِيلَةَ تَنْسَجِمُ مَعَ أَعْمَارِ الْآبَاءِ الَّذِينَ نَقَرَأُ عَنْهُمْ فِي بَدَايَةِ سِفْرِ التَّكْوِينِ.

أُسْلُوبُ سِفْرِ أَيُّوبِ الْأَدْبِيِّ

إِنَّ قَضِيَّةَ أُسْلُوبِ سِفْرِ أَيُّوبِ الْأَدْبِيِّ تَتِمُّ الْإِجَابَةُ عَنْهَا عِنْدَمَا نَتَأَمَّلُ بِالْمَكَانِ الَّذِي تَمَّ فِيهِ وَضَعُ هَذَا السِّفْرِ فِي تَرْتِيبِ أَسْفَارِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. فَهَذَا السِّفْرُ هُوَ وَاحِدٌ مِنْ أَعْظَمِ الْقَصَائِدِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي سَبَقَ وَكُتِبَتْ. فَسِفْرُ أَيُّوبِ يُمْكِنُ أَنْ يُقَدَّمَ، لَا بَلَّ سَبَقَ وَقُدِّمَ كَمَسْرُحِيَّةٍ. تَأَمَّلُوا بِهَذِهِ الرِّسَالَةَ الْعَمِيقَةَ الَّتِي وَجَّهَهَا اللَّهُ لِلْقُلُوبِ الْمُتَأَلِّمَةِ، فِي مَسْرُحِيَّةٍ تَتَأَلَّفُ مِنْ ثَلَاثَةِ فُصُولٍ. فَعِنْدَمَا يُرْفَعُ السِّتَارُ لِلْفَصْلِ الْأَوَّلِ، يُعْطِينَا الْمَشْهَدُ الْأَوَّلَ الْخَلْفِيَّةَ الْمُلَائِمَةَ لِمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَقْدَمَ قِصَّةٍ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ.

الفصل الأول

نجد في الفصل الأول والمشهد الأول الله والشيطان يتحادثان عن هذا الرجل الذي يدعى أيوب. يُعلمنا الفصل الأول من هذه الدراما حقيقة عظيمة عن المعركة بين الخير والشر. ونجد أن الشرر مُجسّد في الشيطان، الذي يتحدّى دوافع هذا الرجل الصالح أيوب، لكونه باراً إلى هذا المقدار. ولقد تجاوزَ الله مع هذا التحدّي بما يُسميه اللاهوتيون "إرادة الله السامحة". فلقد سمح الله للشرر أن يعمل في الحُدود التي وضعها الله، وذلك بسمّاحة للشيطان أن يأخذ كل ما لأيوب، بما في ذلك أولاده العشرة. لقد اتهم الشيطان أيوب بأنه بار لأن الله بارك برّه بمنحه غنى جزيلاً. ولقد أعلن أيضاً أنه لو سمح له الله أن يسلب من أيوب كل بركاته، فإن أيوب سيلعن الله.

نتيجة لإرادة الله السامحة، وإفخاخ إبليس المشؤومة، نقرأ أن أيوب خسر سبعة بنين وثلاث بنات، و سبعة آلاف من الضأن، وثلاثة آلاف جمل، وألف ثور، وخمسمائة أتان، وعبداً كثيرين.

رغم أن الخسائر الفادحة حطمت أيوب تماماً، إلا أنه لم يلعن ولم يجديف على اسم الله وسط كل آلامه. بل أعلن قائلاً: "عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك. الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركاً." (أيوب ١: ٢١، ٢٢). قال كونفوشيوس، "إننا نأتي إلى هذا العالم بيدين قابضتين لأننا نريد الحصول على كل شيء، ونترك هذا العالم بيدين مفتوحتين لأننا لا نأخذ معنا شيئاً." عندما تجرّب أيوب هنا، قال، "عندما جنّت إلى هذا العالم، كانت يديّ مفتوحتين. كل ما كان في يديّ، الله وضعه هناك. فالكل كان له عندما وضعه هناك، والكل كان له عندما بقي هناك طوال الوقت، وبرهان كون الكل له هو أنه يأخذه ساعة يشاء. فلقد أخذ الله كل أولادي، وكل مقتنياتي، ولكن الكل كان له ليأخذه. فليكن اسم الرب مباركاً."

اجتاز أيوب هذه التجربة الأولى بنجاح. ومن الجدير بالذكر أن أيوب كان مخطئاً جزئياً بقوله أن الرب أخذ أولاده وكل مقتنياته. فنحن نعلم بما أننا دخلنا خلف الستار، أن الشيطان هو الذي أخذ كل مقتنيات أيوب.

لاحظوا كيف خسر أيوب مقتنياته. لقد فقد أولاده العشرة نتيجة لعاصفة هوجاء، أو عاصفة صحراوية قلبت المنزل وحطمته فوق رؤوسهم. وفقد خرافه ورعاته نتيجة لنار نزلت من السماء، الأمر الذي يعني برقاً. تُسمي شركات التأمين هذه الأحداث اليوم بأعمال الله. ولكننا نعرف أن هذه الأعمال لم تكن أعمال الله، بل كانت أعمال الشيطان، بسمّاح من الله، ولكن أيوب لم يكن يعلم ذلك.

ثُمَّ نَجِدُ اللَّهَ وَالشَّيْطَانَ يَتَحَدَّثَانِ ثَانِيَةً حَوْلَ أَيُوبَ. وَكَانَ اللَّهُ يَفْتَخِرُ بِأَيُوبَ كَمِثَالٍ لِلإِنْسَانِ الْبَارِّ الصِّدِّيقِ. وَمُجَدِّدًا، تَحَدَّى الشَّيْطَانُ دَوَاعِيَ أَيُوبَ لِلرِّبِّ وَشَكَكَ بِهَا. وَلَقَدْ أَعْلَنَ أَنَّ أَيُوبَ سَوْفَ يَلْعَنُ اللَّهَ، إِذَا سَمَحَ اللَّهُ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَمَسَّ جَسَدَهُ. فَسَمَحَ اللَّهُ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَمَسَّ جَسَدَ أَيُوبَ، وَلَكِنْ بِشَرَطٍ وَاحِدٍ، أَنْ لَا يَأْخُذَ نَفْسَهُ وَلَا يُنْهِيَ حَيَاتَهُ. قَدْ تَقُولُ أَنَّ اللَّهَ سَمَحَ لِلشَّيْطَانِ بِأَنْ يُعَذِّبَ أَيُوبَ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ تَعْرِيفُ التَّعْذِيبِ – إِنْزَالِ أَقْسَى الْعَذَابَاتِ بِالضَّحِيَّةِ، بِدُونِ إِنْهَاءِ حَيَاتِهِ. فَلَقَدْ أُصِيبَ أَيُوبُ بِمَرَضٍ مُرِيعٍ. يَقُولُ الْمُفَسِّرُونَ بِأَنَّهُ أُصِيبَ بِنَوْعٍ مِنْ سَرَطَانِ الْجِلْدِ، الَّذِي حَوْلَ جِلْدِ أَيُوبَ إِلَى مَا يُشْبِهُ جِلْدَ الْفِيلِ الْمُتَقَرِّحِ بِالْبَرَصِ. وَهَكَذَا تَأَلَّمَ أَيُوبُ إِلَى أَقْصَى حَدٍّ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يَتَحَمَّلَهُ إِنْسَانٌ، دُونَ الْمَوْتِ.

وَلَكِنَّ أَيُوبَ لَمْ يَتَحَمَّلْ هَذِهِ الْجَوْلَةَ الثَّانِيَةَ مِنَ التَّجْرِبَةِ. فَاقْتَرَحَتْ عَلَيْهِ زَوْجَتُهُ أَنْ يَلْعَنَ اللَّهَ وَيُجَدِّفَ وَيَمُوتَ. فَأَجَابَهَا قَائِلًا، "أَلْخَيْرَ نَقَبْلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَالشَّرَّ لَا نَقَبْلُ؟" (أَيُوبَ ٢: ١٠) كَانَ أَيُوبُ يَسْأَلُ بِطَرِيقَةٍ أَوْ بِأُخْرَى، "مَاذَا يُمَكِّنُ لِلرَّجُلِ الْبَارِّ أَنْ يَتَوَقَّعَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَضَعَ فِي يَدَيْهِ لَكُونَهُ بَارًّا؟"

الجزء الأكبر من سفر أَيُوبَ مُقَدَّمٌ لَهُ بِهَذَا السُّؤَالِ الَّذِي طَرَحَهُ أَيُوبُ عَلَى زَوْجَتِهِ. وَمُبَاشَرَةً قَبْلَ أَنْ يُسَدَّلَ السِّتَارُ عَلَى خَاتِمَةِ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ، نَجِدُ ثَلَاثَةَ مِنْ أَصْدِقَاءِ أَيُوبَ الْقَدَامَى يَحْضُرُونَ لِزِيَارَتِهِ (٢: ١١) لَقَدْ جَاءُوا مَعًا لَتَعَزِيَّتِهِ. وَلَقَدْ كَانُوا مِثْلَ أَيُوبَ رَجَالًا نَاضِحِينَ مُتَقَدِّمِينَ فِي السِّنِّ، وَكَانُوا حُكَمَاءَ وَأَتْقِيَاءَ. الْيَوْمَ نُسَمِّي هَؤُلَاءِ بِالْفَلَسِيفَةِ وَاللَّاهُوتِيِّينَ. وَلَقَدْ صَدِمُوا عِنْدَ رُؤْيَيْهِمْ لِمَظْهَرِ أَيُوبَ الْخَارِجِيِّ، فَجَلَسُوا بِجَانِبِهِ بِصَمْتٍ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. (لَا حِقَاقًا، قَالَ أَيُوبَ لِأَصْدِقَائِهِ أَنَّ هَذَا الْأُسْبُوعَ مِنَ الصَّمْتِ كَانَ أَفْضَلَ عِلَاجٍ لِأَلَمِهِ.) هُنَا يُسَدَّلُ السِّتَارُ عَلَى الْفَصْلِ الْأَوَّلِ، وَأَيُوبَ جَالِسًا فِي وَسْطِ حَلْقَةِ الصَّمْتِ، يَتَحَلَّقُ حَوْلَهُ أَصْدِقَاؤُهُ الثَّلَاثَةُ.

الفصل الثاني

المشاركة

عندما يُرْفَعُ السِّتَارُ عَنِ الْفَصْلِ الثَّانِي، نَتَعَرَّفُ عَلَى أَصْدِقَاءِ أَيُّوبِ الثَّلَاثَةِ، أَلِيفَازِ التِّيمَانِيِّ، بِلَدَدِ الشُّوَجِيِّ، وَصُوفَرَ النِّعْمَاتِيِّ. وَبَيْنَمَا كَانُوا جَالِسِينَ فِي حُزْنٍ صَامِتٍ لِلأَيَّامِ السَّبْعَةِ الأُولَى مِنْ زِيَارَتِهِمْ، كَانُوا مُعَزِّينَ نَمُودَجِيِّينَ، لِأَنَّهُمْ عَرَّوْا أَيُّوبَ بِمُجَرَّدِ وُجُودِهِمْ إِلَى جَانِبِهِ. عِنْدَمَا يَتَأَلَّمُ النَّاسُ، فَإِنَّ مُجَرَّدَ وُجُودِ صَدِيقٍ هُوَ أَكْثَرُ مَنْفَعَةٍ مِنْ أَيِّ كَلَامٍ.

وَلَكِنْ سُرْعَانَ مَا تَحَوَّلَ أَصْدِقَاءُ أَيُّوبِ إِلَى مُعَزِّينَ مُتَعَبِينَ، عِنْدَمَا بَدَأُوا بِالْحَدِيثِ عَنِ آلامِ أَيُّوبِ. إِفْتَتَحَ أَيُّوبُ هَذَا الْفَصْلَ، الَّذِي أَسَمَيْتُهُ "المُشَارَكَةُ"، بِالِقَاءِ كَلِمَةٍ لَعَنَ فِيهَا الْيَوْمَ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ، وَاللَّيْلَةَ الَّذِي فِيهِ حُلِيَ بِهِ فِيهَا. وَلَكِنَّ أَيُّوبَ لَمْ يُجِدْفِ عَلَى اللَّهِ كَمَا تَوَقَّعَ الشَّيْطَانُ. إِنَّ نَمُودَجَ هَذَا الْقِسْمِ الأَكْبَرَ مِنْ سَفَرِ أَيُّوبِ، هُوَ أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ أَنْهَى أَيُّوبُ كَلَامَهُ الْإِفْتِتَاحِيَّ، بَدَأَ أَحَدَ أَصْدِقَائِهِ، وَإِسْمُهُ أَلِيفَازُ، بِالرِّدِّ عَلَى أَيُّوبِ. وَمِنْ ثَمَّ إِحْتَجَّ أَيُّوبُ عَلَى كَلَامِ أَلِيفَازِ. ثَمَّ قَامَ صَدِيقٌ آخَرَ إِسْمُهُ صُوفَرُ بِالْكَلامِ، وَكَذَلِكَ رَدَّ أَيُّوبُ عَلَى صُوفَرَ. ثَمَّ قَامَ الصَّدِيقُ الثَّلَاثُ، بِلَدَدِ، بِالْكَلامِ، وَكَذَلِكَ قَامَ أَيُّوبُ بِالرِّدِّ عَلَى بِلَدَدِ. وَلَقَدْ تَكَرَّرَتِ هَذِهِ الْجَوْلَةُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مُتتَالِيَةً.

إِدْعَى أَلِيفَازُ أَنَّهُ قَبِلَ كَلِمَةً مِنَ اللَّهِ مُبَاشَرَةً، فِي إِخْتِبَارِ رُوحِيٍّ شَخْصِيٍّ، بِالإِشَارَةِ إِلَى الْإِنْسَانِ بِكَوْنِهِ تَحْتَ رَحْمَةِ عَدْلِ اللَّهِ. وَمِنْ خِلَالِ إِعْلَانِ اللَّهِ الْمُبَاشِرِ، إِسْتَطَاعَ أَلِيفَازُ أَنْ يَقُولَ لِأَيُّوبِ بِسُلْطَانٍ كَبِيرٍ أَنَّ آلامَ أَيُّوبِ هِيَ نَتِجَةٌ لِخَطِيئَةٍ مَا فِي حَيَاتِهِ. (أَيُّوبُ ٤: ١٢ - ٢١). وَإِسْتَنْتَجَ بِلَدَدُ أَنَّ أَيُّوبَ تَأَلَّمَ وَمَاتَ أَوْلَادُهُ، بِسَبَبِ خَطَايَا أَوْلَادِهِ. (٨: ١ - ٧). وَلَقَدْ إِسْتَنْتَجَ أَيْضاً أَنَّ أَيُّوبَ كَانَ خَاطِئاً. أَمَّا صُوفَرُ فَكَانَ لِأَدْرِيئاً، وَإِنْجَاماً مَعَ لِأَدْرِيئِهِ، قَالَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْرِفَ سَبَبَ أَلَمِهِ، وَلَكِنَّهُ أَضَافَ أَنَّ التَّأَمُّلَ بِأَلَمِهِ هُوَ أَمْرٌ يُعَبِّرُ عَنِ حِكْمَةِ هَذَا الشَّخْصِ وَتَقْوَاهُ. (أَيُّوبُ ١١: ٧ - ١٢) وَهُوَ يُوجِّدُ نَفْسَهُ مَعَ جَوْقَةِ الْمُعَزِّينَ الْآخَرِينَ وَيَتَّفِقُ مَعَ صَدِيقِيهِ أَنَّ مَصْدَرَ أَلَمِ أَيُّوبِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَطِيئَةً مَا فِي حَيَاتِهِ. وَهَكَذَا إِتَّفَقَ هُوَ لِأَنَّ الْمُعَزِّينَ الثَّلَاثَةَ عَلَى حَضِّ أَيُّوبِ عَلَى التَّوْبَةِ.

تَلْخِيصاً لِكُلِّ هَذِهِ الْخُطْبِ، تَعَامَلَ أَيُّوبُ وَأَصْدِقَاؤُهُ مَعَ السُّؤَالِ الَّذِي طَرَحَتْهُ زَوْجَتُهُ أَيُّوبُ، "مَاذَا يَنْبَغِي عَلَى الْبَارِّ أَنْ يَتَوَقَّعَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَضَعَ فِي يَدِهِ لَكُونِهِ إِنْسَاناً بَارّاً؟" وَلَقَدْ إِتَّفَقُوا جَمِيعاً عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَضَعُ بَرَكَاتٍ فِي يَدِي الْإِنْسَانِ الْبَارِّ، وَيَضَعُ نَقِيضَهَا لِلْإِنْسَانِ الشَّرِيرِ. وَلَكِنَّ الْمُعْضِلَةَ كَانَتْ أَنَّ أَيُّوبَ بَدَأَ وَكَأَنَّهُ رَجُلٌ بَارٌّ، وَلَكِنَّ الْوَاضِحَ كَانَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ ضَرْبَاتٍ مُؤَلِّمَةً. وَلَقَدْ إِحْتَدَّ خِلَافَهُمْ مَعَ أَيُّوبِ أحياناً، بَيْنَمَا حَاوَلُوا حَلَّ الْمُعْضِلَةِ.

انْفَقَ أَصْدِقَاءُ أَيُّوبَ، عَبَرَ كُلِّ حُطْبِيهِمْ، أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ أَيُّوبَ كَانَ إِنْسَانًا شَرِيرًا. وَبِمَا أَنَّهُ كَانَ يَبْدُو وَكَأَنَّهُ بَارٌّ، فَلَا بُدَّ أَنَّهُ كَانَ يُخْفِي خَطِيئَةً دَفِينَةً فِي حَيَاتِهِ. وَلَقَدْ نَعَتَ أَحَدُهُمْ بِأَنَّهُ دُودَةٌ، وَبِأَنَّ اللَّهَ يُقَاصِصُهُ بِأَقْلٍ جَدًّا مِمَّا يَسْتَحِقُّ. وَأَمَّنْ آخَرَ أَنْ الْخَطِيئَةَ فِي حَيَاةِ أَوْلَادِ أَيُّوبَ هِيَ الَّتِي جَعَلَتْ اللَّهَ يُمِيتُهُمْ، وَيُعَاقِبُ أَيُّوبَ بِالْأَلَامِ الْمُبَرَّحَةِ. وَهَكَذَا حَضُّوا جَمِيعُهُمْ أَيُّوبَ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْإِعْتِرَافِ بِخَطَايَاهُ. مِنْ هُنَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نَرَى لِمَاذَا لَمْ تُعَزَّرْ كَلِمَاتُهُمْ أَيُّوبَ.

فِي حُطْبِيهِ، أَصَرَ أَيُّوبُ عَلَى كَوْنِهِ بَارًّا. وَكَانَ شَدِيدَ الْإِقْتِنَاعِ بِأَنَّهُ كَانَ بَارًّا، لَدَرَجَةٍ أَنَّهُ شَكَّكَ بِبِرِّ اللَّهِ وَعَدَالَتِهِ فِي الْهَاقِ فِي هَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْعَذَابِ بِأَيُّوبَ. وَإِنْتَهَى هَذَا الْحَوَارُ عِنْدَمَا إِسْتَنْتَجَ مُعَزُّو أَيُّوبَ أَنَّهُمْ لَنْ يَنْجَحُوا بِإِقْنَاعِ أَيُّوبَ بِأَنَّهُ خَاطِئٌ.

رُغِمَ أَنْ أَصْدِقَاءَ أَيُّوبَ كَانُوا أَشْخَاصًا رُوحِيَّيْنَ مُتَعَلِّمِينَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ قَالَ لَهُمْ لِاحِقًا، "لَمْ تَقُولُوا فِي الصَّوَابِ كَعَبْدِي أَيُّوبَ." (أَيُّوبَ ٤٢: ٧-٩). فَبَعْدَ أَنْ كَلَّمَ اللَّهُ أَيُّوبَ مِنَ الْعَاصِفَةِ، نَسَمِعُ أَيُّوبَ، الَّذِي أَصَرَ طَوَالَ الْوَقْتِ فِي حَوَارِهِ مَعَ أَصْدِقَائِهِ بِأَنَّهُ كَانَ بَارًّا، نَسَمِعُهُ يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ حَقِيرٌ. (أَيُّوبَ ٤٠: ٤) لِهَذَا، فَعِنْدَمَا تَقْرَأُ حُطْبَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ الثَّلَاثَةِ، إِقْرَأْهَا وَأَنْتَ تَحْتَفِظُ فِي فِكْرِكَ بِمَا قَالَهُ اللَّهُ فِي النِّهَايَةِ عَنْ هَذِهِ الْحُطْبِ، أَنَّهُمْ أَخْطَأُوا فِيمَا قَالُوهُ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ أَيُّوبَ. فَبَيْنَمَا تَقْرَأُ حُطْبَ أَيُّوبَ، الْمُرِيئَةَ بِإِدْعَاءَاتِهِ بِأَنَّهُ بَارٌّ، عَلَيْكَ أَنْ تُدْرِكَ أَنَّهُ فِي نِهَائَةِ السَّفَرِ، سَوْفَ يَرَى أَيُّوبُ اللَّهَ، وَسَوْفَ يَكْرَهُ نَفْسَهُ وَيَتُوبُ وَيَنْدَمُ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ. إِسْأَلْ نَفْسَكَ، لِمَاذَا كَرِهَ أَيُّوبُ نَفْسَهُ عَلَى مَا فَعَلَ، وَعَمَّ تَابَ أَيُّوبُ؟

عِنْدَمَا نَقْرَأُ أَنَّ أَصْدِقَاءَ أَيُّوبَ قَرَّرُوا أَنَّهُمْ لَنْ يَتِمَكَّنُوا مِنْ إِقْنَاعِ أَيُّوبَ أَنَّ خَطِيئَتَهُ هِيَ سَبَبُ أَلَمِهِ، وَعِنْدَمَا نَقْرَأُ أَنَّ كَلِمَاتِ أَيُّوبَ إِنْتَهَتْ، يَنْسَدِلُ السِّتَارُ عَلَى الْفَصْلِ الثَّانِي.

الفصل الثالث

الحل

عندما يُرْفَعُ السِّتَارُ عَنِ الْفَصْلِ الثَّلَاثِ، نَرَى أَيُّوبَ وَأَصْدِقَاءَهُ الثَّلَاثَةَ لَا يَزَالُونَ مُتَحَلِّقِينَ فِي دَائِرَةٍ مَعًا، وَلَكِنْ هُنَا نَجِدُ بَيْنَهُمْ شَخْصًا آخَرَ إِسْمُهُ أَلِيَهُو، الَّذِي كَانَ أَصْغَرَ سِنًّا مِنْ أَيُّوبَ وَرِفَاقِهِ. وَلَقَدْ تَكَلَّمَ هَذَا الرَّجُلُ الشَّابُّ وَقَالَ أَنَّهُ إِمْتَنَعَ عَنِ الْكَلَامِ، لِأَنَّهُ صَغِيرُ السِّنِّ بِالنِّسْبَةِ لِأَيُّوبَ وَرِفَاقِهِ. وَلَكِنَّهُ قَرَّرَ أَنْ يَكْسِرَ الصَّمْتَ وَيَتَكَلَّمَ لِسَبَبَيْنِ. أَوَّلًا، أَدْرَكَ أَنَّ الْحِكْمَةَ تَأْتِي مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ بَعْضَ النَّظَرِ عَنِ السِّنِّ. وَالسَّبَبُ الثَّانِي الَّذِي جَعَلَهُ يَتَكَلَّمُ هُوَ أَنَّهُ أَدْرَكَ أَنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا حَلًّا لِمُعْضَلَتِهِمْ، لَكُونِهِمْ يَطْرَحُونَ الْأَسْئَلَةَ الْخَطَأَ.

فَحَلُّ مُعْضَلَةِ أَلِمِ أَيُّوبَ مَوْجُودٌ فِي خُطَابِ أَلِيَهُو، وَفِي جَوَابِ أَيُّوبَ عَلَى هَذَا الْخُطَابِ. فِي قَلْبِ خُطَابِهِ، قَالَ أَلِيَهُو لِأَيُّوبَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى فَوْقٍ وَيَرَى أَلْمَهُ مِنْ وُجْهَةِ نَظَرِ اللَّهِ. فَبِالنِّسْبَةِ لِهَذَا الشَّابِّ الَّذِي أَخَذَ رَأْيَهُ مِنْ وَحْيِ اللَّهِ بِوَضُوحٍ، كَانَ ذَلِكَ السُّؤَالُ الَّذِي طَرَحَهُ أَيُّوبُ عَلَى زَوْجَتِهِ، كَانَ سُؤَالًا مَغْلُوطًا، لِأَنَّهُ وَضَعَ يَدَ أَيُّوبَ فِي وَسْطِ قَضِيَّةِ أَلْمِهِ. فَاسْتَبَدَلَ أَلِيَهُو هَذَا السُّؤَالَ الْمَغْلُوطَ بِسُّؤَالٍ صَحِيحٍ: "أَتَحْسَبُ هَذَا حَقًّا. قُلْتَ أَنَا أَبْرُّ مِنَ اللَّهِ. لِأَنَّكَ قُلْتَ مَاذَا يُفِيدُكَ بِمَاذَا أَنْتَفِعَ أَكْثَرَ مِنْ خَطِيئَتِي. أَنَا أَرُدُّ عَلَيْكَ كَلَامًا وَعَلَى أَصْحَابِكَ مَعَكَ. أَنْظُرْ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَأَبْصِرِ الْغَمَامَ إِنَّهَا أَعْلَى مِنْكَ. إِنْ أَخْطَأْتَ فَمَاذَا فَعَلْتَ بِهِ وَإِنْ كَثُرَتْ مَعَاصِيكَ فَمَاذَا عَمِلْتَ لَهُ. إِنْ كُنْتَ بَارًّا فَمَاذَا أُعْطِيَتْهُ أَوْ مَاذَا يَأْخُذُ مِنْ يَدِكَ." (أَيُّوبَ ٣٥: ٢-٧)

أَنْ تَضَعَ يَدَكَ الْمَفْتُوحَةَ فِي وَسْطِ الْأَمِكِ، وَأَنْ تَطْرَحَ السُّؤَالَ، "مَاذَا سَيَضَعُ اللَّهُ فِي يَدِي؟"، هُوَ سُؤَالٌ مِنَ الْخَطَأِ أَنْ نَطْرَحَهُ، وَهُوَ ذَهْنِيَّةٌ مَغْلُوطَةٌ فِي عِلَاقَتِنَا مَعَ اللَّهِ. فغَايَةُ الْإِنْسَانِ الْأَسَاسِيَّةُ هِيَ تَمَجِيدُ اللَّهِ. هَذَا يَعْنِي أَنَّهُ عَلَيْنَا أَنْ نَضَعَ يَدَ اللَّهِ الْمَفْتُوحَةَ فِي وَسْطِ الْآمِنَاءِ وَحَيَاتِنَا، وَأَنْ نَسْأَلَ قَائِلِينَ: "مَاذَا أَضَعُ أَنَا فِي يَدِي اللَّهِ؟"

تَذَكَّرْ أَنَّ إِتْهَامَ الشَّيْطَانِ ضِدَّ أَيُّوبَ هُوَ أَنَّهُ كَانَ مُؤْمِنًا نَفْعِيًّا. فَمِثْلُ أَوْلَادِكَ الَّذِينَ تَبْعُوا يَسُوعَ بِسَبَبِ الْخُبْزِ وَالسَّمَكِ، هَكَذَا كَانَ أَيُّوبُ فَاتِحًا يَدَهُ بَيْنَمَا كَانَ يَعْيشُ حَيَاةً بَارَّةً. لَقَدْ طَرَحْتُ سَابِقًا السُّؤَالَ، "لِمَاذَا كَرِهَ أَيُّوبُ نَفْسَهُ عِنْدَمَا رَأَى اللَّهَ؟" و"عَمَّ تَابَ أَيُّوبَ عِنْدَمَا رَأَى اللَّهَ؟" أَعْتَقَدُ أَنَّ أَيُّوبَ أَدْرَكَ، مِنْ خِلَالِ كَلَامِ أَلِيَهُو، أَنَّهُ كَانَ يَضَعُ يَدَهُ الْمَفْتُوحَةَ فِي وَسْطِ عِلَاقَتِهِ مَعَ اللَّهِ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُدْرِكًا لِذَلِكَ، إِلَى أَنْ اسْتَحْدَمَ اللَّهُ الْأَلْمَ لِیُعْلِنَ لَهُ ذَلِكَ. فَعِنْدَمَا رَأَى أَيُّوبُ أَنَّهُ كَانَ يَسْتَحْدِمُ اللَّهَ لِمَنْفَعَتِهِ، كَرِهَ نَفْسَهُ وَتَابَ فِي الْمُسُوحِ وَالرَّمَادِ.

رُغْمَ أَنَّ أَيُّوبَ اخْتَلَفَ بِشِدَّةٍ مَعَ أَقْوَالِ مُعْزِيهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يُخَالِفْ أَقْوَالَ هَذَا الشَّابِّ. بَلْ فَعَلَ مَا نَصَحَهُ بِهِ الشَّابُّ أَلِيَهُو. نَظَرَ إِلَى فَوْقٍ، وَعِنْدَمَا فَعَلَ، رَأَى اللَّهَ فِي الْعَاصِفَةِ.

وهكذا نشأ حوارٌ بينَ أيُّوبَ واللَّهِ لِفَتْرَةِ ما، وبعَدَ هذا الجِوارِ مَعَ اللّهِ، قالَ مُنْذِهِشاً:
"ها أنا حَقِيرٌ فَمَازَا أوجاؤُوبُكَ. وَضَعْتُ يَدِي عَلَيَّ فَمَي. مَرَّةً تَكَلَّمْتُ فلا أَجِيبُ وَمَرَّتَيْنِ فلا
أزِيد... بِسَمْعِ الأذُنِ سَمِعْتُ عَنكَ، وَلَكِنِ الآنَ رَأَيْتُكَ عَيْنِي، لِذَلِكَ أَرْفُضُ وَأَنْدَمُ فِي التُّرابِ
والرَمادِ." (أيُّوبَ ٤٠: ٤ و٥؛ ٤٢: ٥ و٦).

بَعْدَ تَوْبَةِ أيُّوبِ، وَبَحَّ اللّهُ أَصْدِقائَهُ. وَعِنْدَما حَدَّثَ هَذا، صَلَّى أيُّوبُ لأَصْدِقائِهِ.
وعِنْدَما صَلَّى أيُّوبُ لأَصْدِقائِهِ، ضاعَفَ اللّهُ مُمْتَلِكاتِهِ. وَعِنْدَما يُسَدِّلُ السِّتارَ عَلَيَّ الفِصْلِ
الثَّالِثِ، نَجَّدَ اللّهُ وَقَدِ ضاعَفَ غِنَى أيُّوبِ، وَأَعْطاهُ مُجَدِّداً سَبْعَةَ بَنِينَ وَثَلاتِ بَناتٍ.

التَّطْبِيقُ الشَّخْصِيُّ

إِنَّ هَذا السِّفَرَ الأَوَّلَ مِنَ الأَسفارِ الشَّعْرِيَّةِ الحَمْسَةِ هُوَ كَلِمَةُ اللّهِ المُوحاةِ لِلقُلُوبِ
المُتألِّمَةِ. بِمَعْنَى ما، يُمَكِّنُ النَّظْرَ إِلى مأساةِ الأَلَمِ القَدِيمَةِ هَذهِ كإِيضاحِ حَيَوِيِّ لَواحِدَةٍ مِنَ
تَطوِيباتِ يَسوعَ التي عَلَّمها في مَوَعِظَتِهِ عَلَيَّ الجَبَلِ: "طُوبَى لِلحَزانِيِّ، لِأَنَّهُ يَتَعَرَّوْنَ." (مَتَّى
٥: ٤) غالِباً ما نَجِدُ تَعلِيمَ العَهْدِ الجَدِيدِ مُوسَّعاً وَمُوضَّحاً فِي العَهْدِ القَدِيمِ. فِي العَهْدِ الجَدِيدِ،
يُعطينا يَسوعُ هَذا التَّعلِيمَ العَظِيمَ فِي جُمْلَةٍ واحِدَةٍ، وَلَكِنِ سِيفَرَ أيُّوبِ يُطَبِّقُ هَذهِ الحَقِيقَةَ عَلَيَّ
حالَةٍ خاصَّةٍ، وَيُعَلِّمُ بِثَلاتِ خُطواتٍ يُمَكِّنُنا إِتِخادُها لِكَي نَرَبِّحَ راحَةً وَبَرَكَاتَةَ المَسيحِ المَوعُودِ
بِها لِأولئِكَ المُتألِّمِينَ. وَهَذهِ الخُطواتُ الثَلاتِ هِيَ الثَّالِثَةُ:

الخُطوةُ الأُولى: دَعِ حُزْنَكَ يَفُودُكَ إِلى حَيْثُ تَسأَلُ نَفْسَكَ، لَرُبِّما لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي
حَياتِكَ، الأَسئَلَةَ الصَّحِيحَةَ. لَاحِظْ كَيفَ يُقَدِّمُ لَنا أيُّوبُ مِثالاً عَلَيَّ ذَلكِ. وَبَينَما تَقرأُ هَذا السِّفَرَ،
لَاحِظْ كَيفَ إِقتَبَدَ أيُّوبُ بِأَلَمِهِ لِيطَرَحَ أَسئَلَةً كالثَّالِثَةِ: "هلِ يَرى اللّهُ ما يَحدُثُ لي؟ إِنْ كانَ
أَمَلِي الوَحيدُ هُوَ القَبْرُ، فإِينَ هُوَ هَذا الأَمَلُ؟ وَما هُوَ الإِنسانُ حَتَّى تَمتَجِنَهُ أو تَعَتَدَّ بِهِ؟ وَلَماذا
أَخرَجَني اللّهُ مِنَ الرَّحِمِ؟ وَهلِ لَدَيَّ القُوَّةُ لِأَساعِدَ نَفْسِي؟ أَمّا الرَّجُلُ فَيَمُوتُ وَيَبلى. الإِنسانُ
يُسلِمُ الرُّوحَ فإِينَ هُوَ؟ إِنْ ماتَ رَجُلٌ أَفَحيًا؟" (أيُّوبَ ١٤: ١٠، ١٤) هَذهِ هِيَ الأَسئَلَةُ التي
يُرِيدُنا اللّهُ أَنْ نَطرَحَها عِنْدَما نَجتازُ فِي الأَلَمِ والحُزَنِ.

الخُطوةُ الثَّانِيَةُ: دَعِ حُزْنَكَ يَفُودُكَ إِلى حَيْثُ تَسْتَمِعُ إِلى أَجوبَةِ اللّهِ عَلَيَّ الأَسئَلَةِ
الصَّحِيحَةِ. لَقَدْ طَرَحَ أيُّوبُ السُّؤالَ: "إِذا ماتَ إِنسانٌ، هلِ يَحيا ثَانيَةً؟" وَلَقَدْ أَجابَ اللّهُ عَلَيَّ
هَذا السُّؤالَ، عِنْدَما ضاعَفَ مُمْتَلِكاتِ أيُّوبِ. لَاحِظْ أَنَّ اللّهُ ضاعَفَ ماثِبيَةَ أيُّوبِ، وَلَكنَّهُ لَم
يُضاعِفِ، بَلِ أَعْطى أيُّوبَ سَبْعَةَ بَنِينَ وَثَلاتِ بَناتٍ إِضافِيَّينَ، فِي الوَقْتِ الَّذِي ضاعَفَ فِيهِ
كُلَّ مُمْتَلِكاتِ أيُّوبِ الأُخَرى.

تَفسِيرُ ذَلكِ هُوَ أَنَّهُ عِنْدَما ماتَتِ المَاثِبيَةُ، لَم تُعَدِ مَوجودَةً، وَلَكنَ عِنْدَما ماتَ أَبناءُ أيُّوبِ
وَبَناتُهُ، فَهَمَ لَم يَموتوا بِمَعْنَى أَنَّهُمَ لَم يَعودوا مَوجودِينَ، بَلِ إِنتَقَلوا إِلى بُعَدِ آخِرِ أوِ الحَالةِ

الأبدية. فلنكف يضاعف عدد أولاد أيوب، إحتاج الله فقط أن يعطيه مجدداً سبعة بنين وثلاث بنات. فمن وجهة نظر الأبدية، أصبح لدى أيوب أربعة عشر ابناً وستة بنات. هذه هي الطريقة التي أجاب بها الله على سؤال أيوب، "إذا مات إنسان، هل يحيا ثانية؟"

سوف نجد الكثير من الأجوبة على هذا السؤال في كلمة الله، مثل الطريقة التي أجاب بها الله على أسئلة أيوب، المزمور الثالث والعشرين، وفي العهد الجديد حيث يقول يسوع أنه هو القيامة والحياة، وأن كل من يؤمن به لن يموت إلى الأبد. (يوحنا ١١: ٢٥، ٢٦). عندما تقرأ كلمة الله، سوف تجد عدة أجوبة جميلة يقدمها الله على الأسئلة الصحيحة. فتش عنها بروح الصلاة، ثم اصنع بروية بينما يقودك الله إلى هذه الأجوبة الجميلة على الأسئلة الصحيحة في كلمته المقدسة.

الخطوة الثالثة: دغ حزنك يقودك إلى ذلك المكان الذي فيه تستطيع أن تؤمن بأجوبة الله على الأسئلة الصحيحة. فعندما تطرح الأسئلة الصحيحة، اصغ إلى أجوبة الله على هذه الأسئلة، وآمن بأجوبة الله على هذه الأسئلة الصحيحة، وسوف تكتشف البركة والتعزية اللتين وعد بهما يسوع للحزائي. يُسمي الكتاب المقدس هذه البركة والتعزية بالخلص.

الفصل الثاني

ثلاثون سبباً كتابياً لتألم شعب الله

لآلاف السنين، كان شعبُ الله يَطْرَحُونَ السُّؤالَ، "لماذا يتألم شعبُ الله؟" يُقدِّم سفرُ أيُّوب أعمقَ وأشملَ جوابٍ على هذا السؤال. ولكنَّ سفرَ أيُّوب ليسَ الجوابَ الوَحيدَ الذي يُقدِّمُ على هذا السؤال في الكتابِ المُقدَّس. فمن سفرِ التَّكْوِينِ إلى سفرِ الرُّؤْيَا، نَجِدُ أَنَّ تَأْلَمَ شَعْبِ اللَّهِ هُوَ مَوْضُوعٌ قَدْ تَمَّتْ مُعَالَجَتُهُ فِي كَلِمَةِ اللَّهِ. فِي هَذَا الْفَصْلِ، سَوْفَ أُعَالِجُ بِإِخْتِصَارٍ ثَلَاثِينَ سَبَباً مِنْ أَسْبَابِ التَّأْلَمِ الَّتِي يُقَدِّمُهَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ.

١- **يُمْكِنُ أَنْ يُعَلِّمَنَا الْأَلَمُ أَنَّ اللَّهَ نَفْسَهُ هُوَ مَنبِعُ كُلِّ تَعْزِيَةٍ.** هُنَاكَ فِكْرَةٌ أَعْطَتْ بُولُسَ تَعْزِيَةً عِنْدَمَا عَانَى مِنْ تَجْرِبَةٍ صَعْبَةٍ فِي آسِيَا: "مُبَارَكُ اللَّهُ أَبُو رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ أَبُو الرَّأْفَةِ وَإِلَهُ كُلِّ تَعْزِيَةٍ." (٢ كُورِنْثُوسَ ١ : ٣) وَلَقَدْ قَادَ الْأَلَمُ بُولُسَ لِيَكْتَشِفَ أَنَّ اللَّهَ كَانَ دَائِماً حَاضِراً بِجَانِبِهِ وَقَادِراً عَلَى تَعْزِيَتِهِ. وَيَتَحَدَّثَانَا بُولُسُ لِنَكْتَشِفَ الْأَمْرَ ذَاتَهُ عِنْدَمَا نَتَأَلَّمُ.

٢- **الْأَلَمُ يَدْرِيبُنَا وَيُوَهِّلُنَا وَيُعِدُّنَا لِنُعْزِي الْآخَرِينَ.** تَابَعَ بُولُسُ الْفِكْرَةَ الَّتِي بَدَأَهَا فِي الْمَقْطَعِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ، عِنْدَمَا كَتَبَ قَائِلاً، "الَّذِي يُعْزِينَا فِي كُلِّ ضَيْقَاتِنَا حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نُعْزِيَ الَّذِينَ هُمْ فِي كُلِّ ضَيْقَةٍ بِالتَّعْزِيَةِ الَّتِي نَتَعْزَى نَحْنُ بِهَا مِنَ اللَّهِ." (٢ كُورِنْثُوسَ ١ : ٤) فَالْمَبْشُرُ هُوَ مُتَسَوِّلٌ يُخْبِرُ مُتَسَوِّلاً آخَرَ عَنْ مَكَانٍ وَجُودِ الْخُبْزِ. وَالْخَادِمُ الْمُؤَهَّلُ لِلتَّعْزِيَةِ هُوَ صَاحِبُ قَلْبٍ مُتَأَلِّمٍ يُخْبِرُ قَلْباً مُتَأَلِّماً آخَرَ عَنْ مَكَانٍ وَجُودِ التَّعْزِيَةِ. فَعِنْدَمَا نَكْتَشِفُ التَّعْزِيَةَ الَّتِي يُمْكِنُنَا أَنْ نَجِدَهَا فِي اللَّهِ نَفْسِهِ، نُصْبِحُ خُدَّاماً مُؤَهَّلِينَ لِلتَّعْزِيَةِ. فَقَطْ أُولَئِكَ الَّذِينَ إِخْتَبَرُوا الْأَلَمَ الَّذِي أَدَّى بِهِمْ إِلَى إِكْتِشَافِ تَعْزِيَةِ اللَّهِ، فَقَطْ هُوَ لَأَمْ يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يُخْبِرُوا الْقُلُوبَ الْآخَرَى الْمُتَأَلِّمَةَ عَنْ مَكَانٍ وَجُودِ التَّعْزِيَةِ.

٣- **الْأَلَمُ يَقُودُنَا إِلَى طَلَبِ حِكْمَةِ اللَّهِ.** بِحَسَبِ يَعْقُوبَ، عِنْدَمَا يَقُودُنَا أَلْمُنَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي لَا نَعْرِفُ فِيهِ بَبِ سَاطَةِ مَاذَا يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ، يَتَوَجَّبُ عَلَيْنَا عِنْدَهَا أَنْ نَطْلُبَ حِكْمَةَ اللَّهِ لِأَجْلِ الْحِكْمَةِ الَّتِي لَا نَمْلِكُهَا. "وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدٌ تُعَوِّزُهُ حِكْمَةٌ فَلْيَطْلُبْ مِنَ اللَّهِ الَّذِي يُعْطِي الْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلَا يُعَيِّرُ فَسَيُعْطَى لَهُ." (يَعْقُوبَ ١ : ٥) يُؤَكِّدُ لَنَا يَعْقُوبُ أَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يَغْمُرُنَا بِالْحِكْمَةِ الَّتِي نَحْتَاجُهَا.

٤- **الْأَلَمُ يَقُودُنَا إِلَى النُّضْجِ الرُّوحِيِّ.** عَلَّمَ يَعْقُوبُ أَنَّ الْأَلَمَ يَجْعَلُنَا "تَامِينَ وَكَامِلِينَ، غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ." (يَعْقُوبَ ١ : ٤) فَامْتِحَانُ الْإِيمَانِ يَقُودُ إِلَى ثِقَّةِ الْإِيمَانِ. وَثِقَّةُ الْإِيمَانِ تَقُودُ إِلَى إِنْتِصَارِ الْإِيمَانِ، أَوْ إِلَى "إِكْلِيلِ الْحَيَاةِ." (يَعْقُوبَ ١ : ١٢)

٥- **الْأَلَمُ يَقُودُنَا لِلْوُصُولِ إِلَى نِعْمَةِ اللَّهِ.** عِنْدَمَا يُعْطِينَا اللَّهُ الْحِكْمَةَ لِأَنَّهَا لَا نَعْلَمُ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ نَفْعَلَ، سَوْفَ نَحْتَاجُ أَيْضاً إِلَى نِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي تُمَكِّنُنَا مِنْ تَطْبِيقِ الْحِكْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَنَا

مَنْ اللهُ. كَتَبَ بُولُسُ يَقُولُ فِي ٢ كُورِنْثُوسَ ٩ : ٨ : "وَاللَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَزِيدَكُمْ كُلَّ نِعْمَةٍ لِكَيْ تَكُونُوا وَلَكُمْ كُلُّ إِكْتِفَاءٍ كُلِّ حِينٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ، تَزِدَادُونَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ." كُلُّ نِعْمَةٍ، كُلُّكُمْ، كُلِّ حِينٍ، كُلُّ إِكْتِفَاءٍ، كُلِّ شَيْءٍ، كُلُّ فَيْضٍ لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ. لَا عَجَبَ أَنْ يُخْبِرَنَا بُولُسُ أَنْ نَفْرَحَ فِي الْأَلَامِ لِأَنَّهَا تَقُودُنَا إِلَى إِكْتِشَافِ كَنْزِ الْحِكْمَةِ وَالنِّعْمَةِ هَذَا.

٦-الآلَمُ يُنْتِجُ شَخْصِيَّةً رُوحِيَّةً. يُنْتِجُ فِينَا الْآلَمُ تِلْكَ النَّوعِيَّةَ مِنَ الشَّخْصِيَّةِ الَّتِي لَا تَهْرَبُ مِنَ الصُّعُوبَاتِ: "وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضاً فِي الضِّيقَاتِ عَالِمِينَ أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا، وَالصَّبْرَ تَزْكِيَّةً، وَالتَّزْكِيَّةَ رَجَاءً، وَالرَّجَاءَ لَا يُخْزِي." (رُومِيَّةَ ٥ : ٣ - ٥) إِنَّ هَذَا كَلِمَاتٍ مِثْلَ الصَّبْرِ وَالتَّزْكِيَّةِ تَصِفُ لَنَا مَا يُمَكِّنُ تَسْمِيئَهُ "الْبَقَاءَ تَحْتَ الضَّغْطِ." إِنَّهَا تِلْكَ النَّوعِيَّةُ مِنَ الشَّخْصِيَّةِ الَّتِي تَبْقَى وَتَسْتَمِرُّ تَحْتَ الضَّغْطِ، مَهْمَا صَعَبَتِ الطَّرُوفُ. هَذَا تُصْبِحُ الْبُرْتِقَالَةُ بُرْتِقَالَةً. فَهِيَ تَبْقَى مُعَلَّقَةً عَلَى الشَّجَرَةِ إِلَى أَنْ تُصْبِحَ بُرْتِقَالَةً نَاصِجَةً. وَهَذَا أَيْضاً بِإِمْكَانِ الْآلَمِ أَنْ يُطَوِّرَ فِينَا هَذِهِ النَّاحِيَةَ الْهَامَّةَ مِنَ الشَّخْصِيَّةِ الرَّوحِيَّةِ.

٧-عِنْدَمَا نَتَأَلَّمُ فِي شَبَابِنَا، نَكْسِبُ قُوَّةَ لِسَنِ الْبُلُوغِ. نَقْرَأُ فِي مِرَاثِي إِرْمِيَا ٣ : ٢٧، "جَيِّدٌ لِلرَّجُلِ أَنْ يَحْمِلَ النَّيْرَ فِي صِبَاهٍ." فَعِنْدَمَا يَتَجَرَّبُ الشَّبَابُ وَالشَّابَّاتُ، يُطَوِّرُونَ قُوَّةً وَاسْتِقْرَارًا سِيحْتَاجُونَهَا لِتَحْمَلُوا التَّجَارِبَ فِي سِنِّ الْبُلُوغِ.

٨-الآلَمُ يُدْرِبُ خُدَّامَ الْإِنْجِيلِ. كَتَبَ بُولُسُ يَقُولُ أَنَّ الْآلَمَ هُوَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي نُبْرَهَنُ بِهَا ذَوَاتِنَا بِأَنَّنا خُدَّامُ اللهِ: "بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ نُظْهِرُ أَنْفُسَنَا كَخُدَّامِ اللهِ فِي صَبْرٍ كَثِيرٍ فِي شِدَائِدٍ فِي ضَرْوَرَاتٍ فِي ضِيقَاتٍ." (٢ كُورِنْثُوسَ ٦ : ٤) عِنْدَهَا يُرِيدُنَا اللهُ أَنْ نَتَجَاوَبَ مَعَ ذَلِكَ "فِي طَهَارَةٍ فِي عِلْمٍ فِي أَنَاةٍ فِي لُطْفٍ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ فِي مَحَبَّةٍ بِلَا رِيَاءٍ فِي كَلَامِ الْحَقِّ، فِي قُوَّةِ اللهِ." (٢ كُورِنْثُوسَ ٦ : ٦ وَ ١٧) الْآلَمُ هُوَ الْقُوَّةُ الدِّينَامِيكِيَّةُ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا اللهُ لِيُؤَسِّسَ هَذَا "المعهد اللاهوتي" الَّذِي فِيهِ يُدْرَبُ خُدَّامُ الْإِنْجِيلِ.

٩-الآلَمُ يُقِيمُ "نُخُومًا عَجَائِبِيَّةً" فِي رِحَالِ إِيْمَانِنَا. عِنْدَمَا صَلَّى دَاوُدُ طَالِبًا الْإِنْقَازَ فِي وَقْتِ الْأَرْمَةِ (مَزْمُور ٣ : ١ - ٦)، صَلَّى بِإِيْمَانٍ وَثِقَةٍ سَبَقَ وَتَبْرَهَنَ نَجَاحَهُمَا، لِأَنَّهُ تَأَكَّدَ مِنْ أَمَانَةِ اللهِ فِي أَوْقَاتِ الْأَزْمَاتِ فِي حَيَاتِهِ. فَفِي كُلِّ مَرَّةٍ نَتَأَكَّدُ فِيهَا أَنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ بِجَانِبِنَا فِي أَوْقَاتِ الْأَزْمَةِ، نَكْسِبُ "نُخُومًا عَجَائِبِيَّةً" يَقْوِي إِيْمَانِنَا فِي أَزْمَاتِ الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ.

١٠-الآلَمُ يَمَهِّدُ الطَّرِيقَ لِخُلَاصِ اللهِ. لَقَدْ كَرَّرَ إِشْعِيَاءُ قَائِلًا أَنَّ حَيَاةَ الْمَسِيحِ سَوْفَ تَكُونُ بِمِثَابَةِ شَارِعِ عَرِيضٍ مِنْ خِلَالِهِ سِيَأْتِي اللهُ بِخُلَاصِهِ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ: "كُلُّ وَطَاءٍ يَرْتَفِعُ وَكُلُّ جَبَلٍ وَأَكْمَةٍ يَنْخَفِضُ وَيَصِيرُ الْمُعَوَّجُ مُسْتَقِيمًا وَالْعَرَاقِيبُ سَهْلًا. [وَيُبْصِرُ كُلُّ بَشَرٍ خُلَاصَ اللهِ]." (إِشْعِيَاءَ ٤٠ : ٤) لَقَدْ كَانَتْ حَيَاةُ يَسُوعَ شَارِعًا جَلَبَ اللهُ مِنْ خِلَالِهِ خُلَاصَهُ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ. فَلِكَيْ نَكُونَ مِثْلَ اللهِ، فَهَذَا يَعْنِي أَنْ نَكُونَ شَارِعًا يَأْتِي اللهُ عَلَيْهِ بِخُلَاصِهِ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ مِنْ خِلَالِنَا. فَاللَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَأْتِيَ بِخُلَاصِهِ إِلَى الْآخَرِينَ مِنْ خِلَالِ حَيَاتِنَا، عِنْدَمَا

تُسَوَّى جِبَالُ كِبْرِيَانِنَا بِالْأَرْضِ، وَعِنْدَمَا تَمْتَلِي فِرَاغَاتُ حَيَاتِنَا، وَعِنْدَمَا تُقَوِّمُ خَطَايَانَا الْمُعْجِزَةَ، وَعِنْدَمَا تُعَالِجُ وَتُنَعِّمُ الْجُرُوحَ الْوَعِرَةَ فِي حَيَاتِنَا وَالنَّاتِجَةَ عَنِ الْأَلَمِ.

١١- الْأَلَمُ يُظْهِرُ قُوَّةَ اللَّهِ. عِنْدَمَا صَلَّى بُولُسُ إِلَى اللَّهِ لِإِرِيحَهُ مِنْ شَوْكَتِهِ فِي الْجَسَدِ، قَالَ لَهُ اللَّهُ، "تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لِأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تَكْمَلُ." (٢ كُورِنْثُوسَ ١٢ : ٩) فَيُمْكِنُ لِضَعْفَاتِنَا أَنْ تَكُونَ مَجَالاً لِإِظْهَارِ قُوَّةِ اللَّهِ وَسُلْطَانِهِ. قَدْ يَكُونُ هَذَا تَفْسِيرًا مُحْتَمَلًا لِلتَّعَبِ الْمُزْمِنِ الَّذِي يُرَافِقُ كُلَّ أَنْوَاعِ الْأَلَمِ. فَعَجْزُنَا يُظْهِرُ وَيَسْتَعْلِنُ قُدْرَةَ اللَّهِ.

١٢- عَدَمَ كِفَاءَتِنَا تُظْهِرُ كِفَاءَةَ اللَّهِ. الْأَلَمُ يَجْعَلُ مِنَّا غَيْرَ مُلَائِمِينَ وَغَيْرَ كَفُوفِينَ. فَلَقَدْ أُعِيقَتْ كِفَاءَةُ بُولُسٍ كَثِيرًا بِسَبَبِ شَوْكَتِهِ فِي الْجَسَدِ. (٢ كُورِنْثُوسَ ١٢ : ٧-١٠) وَلَكِنْ عِنْدَمَا نَكُونُ ضَعْفَاءَ، يَكُونُ اللَّهُ قَوِيًّا. وَعِنْدَمَا نَكُونُ غَيْرَ قَادِرِينَ، يَكُونُ اللَّهُ قَادِرًا. فَاللَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَحْدِمَ أَلْمَنَا لِتُنْهِيَ قُوَّتَنَا وَأَيِّنَ تَبْدَأَ قُوَّتَهُ.

١٣- الْأَلَمُ قَدْ يُشَكِّلُ فُرْصَةً لِتَعَلُّمِ النَّوَاضِعِ. كَتَبَ بُولُسُ يَقُولُ أَنَّ شَوْكَتَهُ فِي الْجَسَدِ اسْتُخْدِمَتْ لِتَمَنَعَهُ مِنْ تَمَجِيدِ نَفْسِهِ، لِأَنَّ الْإِخْتِبَارَاتِ الْعَجِيبَةَ الَّتِي إِجْتَازَهَا، أُرْسِلَتْ لَهُ الشُّوَكَةُ فِي الْجَسَدِ كَمَلَكَ الشَّيْطَانِ لِئَلْطِمَهُ لِئَلَّا يَرْتَفِعَ. (٢ كُورِنْثُوسَ ١٢ : ٧) وَبِمَا أَنَّنَا يُمْكِنُ أَنْ نَتَجَرَّبَ بِالتَّنَوُّصِ عَلَى إِطْرَاءِ الْآخَرِينَ بِنَا عِنْدَمَا يَسْتَحْدِمُنَا اللَّهُ، وَأَنْ نَسْلُبَ اللَّهُ مَجْدَهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ، فَاللَّهُ يَسْتَحْدِمُ أَحْيَانًا أَلْمَنَا لِئُبْقِيَنَا مُتَوَاضِعِينَ.

١٤- إِخْتِبَارَاتُ الْأَلَمِ غَالِبًا مَا تَقُودُ إِلَى إِخْتِبَارَاتٍ مُفْرِحَةٍ. نَقَرْنَا فِي الْمَزْمُورِ ١٢٦،

"لأن الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالإبتهاج." فالدموع التي نسكبها في أوقات ألمنا، غالباً ما تكون بذراً سوف تُعطي يوماً ما ثماراً الفرح. رُغِمَ أَنَّ الْأَلَمَ يَسْتَمِرُّ لِمَوْسِمٍ كَامِلٍ، وَلَكِنَّهُ يُنْتِجُ فَرْحاً فِي مَوْسِمِ الْحَصَادِ. أَحْيَانًا يَتَوَجَّبُ عَلَيْنَا أَنْ نَنْتَظِرَ لِلْحَالَةِ الْأَبَدِيَّةِ، لِئَخْتَبِرَ هَتَافَ الْفَرَحِ.

١٥- الْأَلَمُ يَكُونُ أَحْيَانًا تَشْحِيلاً يَبْدُو وَكَأَنَّهُ تَأْجِيلٌ لِلبَرَكَةِ. عَلَّمَ يَسُوعُ أَنَّنَا نَحْنُ الْأَغْصَانُ وَأَنَّهُ هُوَ الْكَرْمَةُ. لَكِي نَحْمِلَ ثَمَاراً، يَنْبَغِي أَنْ نَكُونَ دَائِماً فِي عِلَاقَةٍ مَعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ كَرْمَتُنَا، تَمَاماً كَمَا تَكُونُ الْأَغْصَانُ مُرْتَبِطَةً بِالْكَرْمَةِ. فَلِكِي نَكُونَ مُثْمِرِينَ، يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَيْضاً أَنْ نَحْمَلَ عَمَلِيَّةَ التَّشْحِيلِ أَوْ التَّنْقِيَةِ الْمُؤَلِّمَةِ، لِأَنَّ كَوْنَنَا قَدْ تَنَقَّيْنَا أَوْ تَمَّ تَقْلِيمُنَا وَتَشْحِيلُنَا، سَيَجْعَلُ مِنْ حَيَاتِنَا فِي الْمَسِيحِ أَكْثَرَ إِثْمَاراً وَفَرْحاً. (يُوحَنَّا ١٥ : ٢؛ ١١)

١٦- الْأَلَمُ يُعْلِنُ الْمَسِيحَ لِلْعَالَمِ. كَتَبَ بُولُسُ يَقُولُ أَنَّنَا عِنْدَمَا نَتَأَلَّمُ، نَكُونُ أُنْيَةً حَزَفِيَّةً صَغِيرَةً يَنْبَغِي أَنْ تَتَحَمَّلَ الْأَلَامَ، عَلْنَا نُعْلِنُ كَنْزَ الْمَسِيحِ الثَّمِينِ، الَّذِي هُوَ بِمَثَابَةِ نُورٍ يَشِيعُ عَلَى هَذَا الْعَالَمِ مِنْ خِلَالِ الشُّقُوقِ الصَّغِيرَةِ فِي إِهْنَانِنَا الْحَزَفِيِّ. (٢ كُورِنْثُوسَ ٤ : ٧-١٠)

فبينما نتألم، نُصَبِحُ "مُكْتَبِّينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَكِنْ غَيْرِ مُتَضَائِقِينَ"، إِذْ نُعَلِنُ مَجْدَ قُوَّةِ اللَّهِ فِي جَسَدِنَا الْمَائِتِ.

١٧- الأَلَمُ يُمْكِنُ أَنْ يُحَفِّزَ نُمُوَ إِنْسَانِنَا الدَّاخِلِيِّ. فَالْإِنْسَانُ الخَارِجِيُّ هُوَ مُوقَّتٌ زَائِلٌ، أَمَّا الدَّاخِلِيُّ فَأَبَدِيٌّ. فَبَيْنَمَا إِنْسَانُنَا الخَارِجُ يَفْنَى، فَإِنَّ إِنْسَانُنَا الدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا، إِسْتِعْدَادًا لِلْحَالَةِ الأَبَدِيَّةِ. (٢ كُورِنْثُوسَ ٤: ١٦). فَالْمُنَا وَقْتِيٌّ، وَلَكِنَّ إِنْعَكَاسَاتِ أَلْمِنَا قَدْ تَكُونُ أَبَدِيَّةً. هَذَا مَفْهُومٌ رَائِعٌ نَسْتَطِيعُ مُشَارَكَتَهُ مَعَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يُعَانُونَ مِنْ مَرَضٍ حَبِيبٍ يَنْقُلُهُمْ مِنْ هَذَا العَالَمِ إِلَى الأَبَدِيَّةِ.

١٨- الأَلَمُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَلِّمَنَا قِيَمًا أَبَدِيَّةً. نَقْرَأُ أَنَّهُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ، سَتَنْزَعُ عَرْضُ الأَرْضِ إِلَى أَنْ لَا يَبْقَى إِلَّا تِلْكَ الأُمُورُ الَّتِي لَا تَنْزَعُ عَرْضَ. (عِبْرَانِيِّينَ ١٢: ٢٥-٢٩). قِيَمًا أَنْ حَيَاتِنَا وَقْتِيَّةٌ، وَقِيَمِنَا هِيَ غَالِبًا مَا تَتَمَحَوَّرُ حَوْلَ أُمُورِ هَذَا العَالَمِ الوَقْتِيَّةِ، يَسْتَخْدِمُ اللَّهُ أحيانًا الأَلَمَ لِيرْفَعَ أَعْيُنَنَا عَنِ تِلْكَ الأُمُورِ الوَقْتِيَّةِ، لِنُنَبِّئَهَا عَلَى قِيَمِ الأَبَدِيَّةِ.

١٩- الأَلَمُ يَسْتَطِيعُ تَنْقِيَّتَنَا. "لَأَنَّ إِلَهَنَا نَارٌ مُحْرِقَةٌ." (عِبْرَانِيِّينَ ١٢: ٢٩) فَهُوَ يَسْتَخْدِمُ أحيانًا الأَلَمَ لِيحْرِقَ فِي حَيَاتِنَا كُلَّ مَا يَتَعَارَضُ مَعَ طَبِيعَتِهِ المُقَدَّسَةِ. عَمَلِيَّةُ التَّنْقِيَّةِ هَذِهِ الَّتِي تُحَضِّرُنَا لِلأَبَدِيَّةِ، قَدْ تَأْتِي إِلَيْنَا بِشَكْلِ الأَلَمِ.

٢٠- الأَلَمُ يَكُونُ أحيانًا حَصَادَ الخِيَارَاتِ السَّيِّئَةِ. فَمَا نَزَرَ عَهُ، إِيَّاهُ نَحْصُدُ أَيْضًا. فَإِذَا زَرَعْنَا فسادًا، سَوْفَ نَحْصُدُ فسادًا. وَالدَّهْنُ المُنْحَرِفُ الفَاسِدُ يَقُودُ حَتْمًا إِلَى حَيَاةٍ مُنْحَرِفَةٍ فَاسِدَةٍ. أحيانًا، عِنْدَمَا نَتَأَلَّمُ، نَحْصُدُ "مَائِدَةَ العَوَاقِبِ الوَخِيمَةِ"، لِأَنَّنا نَكُونُ قَدْ زَرَعْنَا البُدُورَ المَغْلُوطَةَ فِي بُسْتَانِ حَيَاتِنَا. (غَلَاطِيَّةَ ٦: ٧، ٨)

٢١- الأَلَمُ يُنَبِّئُ هُوِيَّتَنَا كَأَبْنَاءِ اللَّهِ. فَاللَّهُ يُؤَدِّبُ بِأَمَانَةٍ أَوْلَادَهُ الحَقِيقِيِّينَ. (عِبْرَانِيِّينَ ١٢: ٤-١١؛ يُوْحَنَّا ١: ١٢، ١٣). فَهُوَ يَتَحَمَّلُ مَسْئُولِيَّةَ تَجَاهِ أَوْلَادِهِ، لَا يَتَحَمَّلُهَا تَجَاهِ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَا يَدْعُونَهُ أَبًا وَرَبًّا عَلَى حَيَاتِهِمْ. فَبِمَا أَنَّهُ أَبُونَا وَنَحْنُ أَوْلَادُهُ، فَإِنَّهُ يُؤَدِّبُنَا عِنْدَمَا نُخْطِئُ.

٢٢- الأَلَمُ يَعْنِي أحيانًا أَنَّ المَسِيحَ يَرِغِبُ بِالشَّرِكَةِ مَعَنَا. فَالمَسِيحُ الحَيُّ المُقَامُ يَفْرَعُ عَلَى أَبْوَابِ قُلُوبِ أَوْلَئِكَ الَّذِي لَيْسُوا بَارِدِينَ وَلَا حَارِّينَ فِي الإِتْرَامِهِمْ لَهُ. هَذَا القَرَعُ يُمِثِّلُ تَوْبِيخَهُ وَتَأْدِيبَهُ، عِنْدَمَا نَعْتَبِرُهُ مُخْلِصًا وَلَا نَعْتَبِرُهُ رَبًّا. (رُؤْيَا ٣: ١٩-٢٠) إِنَّهُ يَرِغِبُ بِالْوُصُولِ إِلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ هَامَّةٍ مِنْ نَوَاحِي حَيَاتِنَا، وَأَنْ تَكُونَ لَنَا شَرِكَةٌ مَعَهُ فِي هَذِهِ النُّوَاحِي. فَفَرَعُ المَسِيحِ عَلَى قُلُوبِنَا قَدْ يَأْتِينَا بِشَكْلِ الأَلَمِ.

٢٣- كُورَةُ الخَنَازِيرِ البَعِيدَةِ غَالِبًا مَا تُعَجِّلُ الإِبْنَ الضَّالَّ عَلَى الرُّجُوعِ. تَمَامًا كَمَا "رَجَعَ الإِبْنُ الضَّالُّ إِلَى نَفْسِهِ" عِنْدَمَا بَدَأَ يَتَأَلَّمُ فِي كُورَةِ الخَنَازِيرِ البَعِيدَةِ (لُوقَا ١٥: ١٧)،

هكذا الألم أيضاً في "كُورَةَ الخنازير البعيدة" في هذا العالم، قد يُعيدنا إلى نُفوسنا، ويُفودنا إلى التَّوبَةِ، ويُرجعنا بتصميمٍ إلى الشَّرْكَةِ معَ الآبِ وإلى قِيَمِهِ الأبدِيَّةِ.

٢٤- **تأديب الألم يجعلنا نشترك في قداسة الله.** فعندما يُؤدِّبنا أبونا السَّمَاوِيّ بِمَحَبَّةٍ، نقرأ أَنَّهُ يُؤدِّبنا لأجلِ المَنفَعَةِ لِكَي نَشْتَرِكَ في قِدَاسَتِهِ. فاللهُ قُدُوسٌ، وَهُوَ يُريدنا أَنْ نَكُونَ قَدِيسِينَ. فَهُوَ يَسْتخدِمُ أحياناً الألمَ لِيُساعدنا على فَهْمِ أَهْمِيَّةِ القِدَاسَةِ في شَخْصِيَّتِهِ وفي شَخْصِيَّتِنَا. (عبرانيين ١٢ : ١٠).

٢٥- **نتألم أحياناً لأنَّ العالمَ يكره المسيحَ وأتباعه.** كتب بُولُسُ الرَّسُولُ قائلاً، "وجميعُ الذين يُريدونَ أَنْ يَعيشُوا بالتَّقْوَى في المسيحِ يسوعَ يُضطَّهَدونَ." (٢ تيموثاؤس ٣ : ١٢)

٢٦- **الألم يطهر إيماننا.** كتب بُولُسُ قائلاً: "الذي بِهِ تبتَهجونَ معَ أنْكم الآنَ إنْ كانَ يَجِبُ تَحْرُونَ يَسيراً بِتِجَارِبٍ مُننَوَعَةٍ. لِكَي تَكُونَ تَرْكِيَّةَ إِيمانِكُمْ وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ الدَّهَبِ الفانيِ معَ أَنَّهُ يُمتَحَنُ بالنَّارِ تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَالكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلانِ يسوعَ المسيحِ." (١ بطرس ١ : ٦-٧). فكما يُنقى الدَّهَبُ بالنَّارِ، هكذا إيماننا أيضاً، الذي هُوَ أَثْمَنُ مِنَ الدَّهَبِ الفانيِ، يُنقى بِنارِ الألمانِ.

٢٧- **عندما نتألم، نتبع بذلك مثالَ مُخلِّصنا.** كتب بُولُسُ يَقُولُ بأنَّنا مَدْعُونُونَ لِنَقْتَفِي خُطُواتِهِ. (١ بطرس ٢ : ٢١) فلقد عانىَ من نِزاعِ الصَّليبِ لأجلِ خِلاصِنا. وأخبرنا صِراحةً أَنَّهُ علينا أَنْ نَحْمِلَ صَليبَنا وَأَنْ نَتَّبِعَ مِثَالَهُ (لوقا ٩ : ٢٣ - ٢٥؛ ١٤ : ٢٥ - ٣٥). فعندما نَحْمِلُ الألمَ لأجلِ المسيحِ، نَكُونُ بِذلكَ نَقْتَفِي خُطُواتِهِ.

٢٨- **الألم يفتح أحياناً البابَ لِمَلَكُوتِ الله.** عندما إِضطَّهَدَ بُولُسُ وَبَرَنابا في رحلتَيْهِما الإرساليَّةِ، شَجَّعُوا المُؤمِنِينَ الأخرينَ بالقولِ، "ينبغي أَنَّهُ بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ نَدْخُلُ مَلَكُوتَ الله." (أعمال ١٤ : ٢٢) رُغْمَ أَنَّهُ لا يَتَوَجَّبُ علينا أَنْ نَتَأَلَّمَ لِكَي نَدْخُلَ إلى مَلَكُوتِ الله، وَلَكِنَّ كَثِيرِينَ يَأْتُونَ إلى الإيمانِ من خِلالِ بابِ الألمِ والضِّيقِ.

٢٩- **يتوجب علينا جميعاً أَنْ نَدْخُلَ الأبدِيَّةَ عبرَ مَوْتِنَا وَقِيامَتِنَا.** قال يسوعُ لِإمْرَأَةٍ في جِنازَةٍ مُعَيَّنَةٍ، أَنَّ مُشْكِلتَيْنا اللَّتَيْنِ لا حَلَّ لهُما، أَلَا وَهُما المَرَضُ والمَوْتُ، يُمَكِّنُهُما أَنْ يَكُونَا الطَّرِيقَ الذي يُؤدِّي بنا إلى حِياتِنَا الأبدِيَّةِ. (يوحنا ١١ : ٢٠ - ٣٢) بِإمكاننا أَنْ نُحوِّلَ من هاتَيْنِ المُشْكِلتَيْنِ إلى تَذْكَرَةٍ سَفَرٍ إلى بَيْتِنَا السَّمَاوِيِّ، وَذلكَ بِالإيمانِ بأنَّ يسوعَ هُوَ الحَلُّ الوَحيدُ لِمَشاكلِنَا. وَلَكِنَّ اللهَ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُزِيلَ المَرَضَ والمَوْتَ، لأنَّ هذا سِجَرِ مُنْما من طَرِيقِنَا الوَحيدِ للخُرُوجِ من هذا العالمِ. هذا سببُ آخِرِ يُفسِّرُ أَلْمَنا في بعضِ الأحيانِ.

٣٠- فلسفة الموت الكتابية. لكي يُثبِت الرَّاعي سُلْطَتَهُ، غالباً ما يضربُ الخِرافَ على قَرْنِها ضرباتٍ خَفِيفَةً لكي يجعلُها تَرْبُضُ أرضاً. فَبِحَسَبِ قَوْلِ داوُد، يُصِحُّ اللهُ راعيناَ عندما يُرْبِضُنا. (مزمور ٢٣: ٢). وعندما تُوضَعُ هذه العِلاَقَةُ في إِطارها الصحيح، عندها يُفُودُنا اللهُ إلى مِياهِ الرَّاحَةِ، وإلى المِراعِي الخُضر، فيفِيضُ كَأَسُنَا رِياً. وعندما نَقُومُ مُجَدِّداً، فإنَّ هذه المِراعِي تتحوَّلُ إلى مِراعٍ صفراءِ يابِسَةٍ، وتُصِبحُ المِياهُ معكُورَةً، وكَأَسُنَا فارِغَةً.

الموتُ هُوَ الرَّاعي الصَّالِحُ الذي يجعلُنا نرْبُضُ ونرُقُدُ في الموت، لكي يَسْتَطِيعَ اللهُ أن يُورِدَنا إلى المِراعِي الخُضر التي لا تَبِيسُ، وإلى مِياهِ الرَّاحَةِ التي لا تَتَعَكَّرُ، وإلى الكَأْسِ التي لا تَفْرَعُ. لكي نَنالَ هذه القِيمَ الأَبَدِيَّةَ، علينا أن نختَبِرَ هاتينِ المُشكِلتينِ اللَّتين لا حَلَّ لهُما، ألا وهما المَرَضُ والموت. هذا هُوَ التَّفْسِيرُ الكِتابِيُّ النِّهائِيُّ لِمَاحِ اللهُ لَنَا بِأَنَّ نَتَأَلَّمَ أحياناً.

لدى كَلِمَةِ اللهُ الكَثِيرِ لِنَقُولَهُ لَنَا عَنِ الأَمِّ، لَكِنْ هُنَاكَ الكَثِيرُ مِنَ الأَمِّ شَعْبِ اللهُ التي لا نَفْهَمُها. الكَلِمَةُ التي نَسْتَخِدمُها أَكثَرَ مِنْ غَيرِها في هَذَا العالَمِ هي، "لِمَاذَا؟" أَمَّا الكَلِمَةُ التي سَنَسْتَخِدمُها أَكثَرَ مِنْ غَيرِها في السَّماءِ فَسَتَكُونُ كَلِمَةَ التَّعْجُبِ، وَبَعْدَ التَّعْجُبِ لِعَشْرَةِ الأَلفِ سَنَةٍ، سَوفَ نَبدأُ بِالقَوْلِ "هَلْلويا."

الفصل الثالث

سفر المزامير

يُخاطَبُ سِفْرُ الْمَزَامِيرِ قُلُوبَ شَعْبِ اللَّهِ عِنْدَمَا يَعْبُدُونَهُ. فَالْمَزَامِيرُ هِيَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ مَزْمُوراً أَوْ نَشِيداً مُوحَىً بِهَا، الَّتِي كَانَ يُرْتَمِّهَا شَعْبُ اللَّهِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ. فَلَقَدْ أُعْطِيَ اللَّهُ شَعْبَهُ الْمَزَامِيرَ لِيُسَاعِدَهُمْ عَلَى التَّعْبِيرِ عَنْ مَحَبَّتِهِمْ، تَسْبِيحِهِمْ، وَصَلَاتِهِمْ لِلَّهِ عِنْدَمَا يَعْبُدُونَ. هَذِهِ التَّرَانِيمُ الْمُوحَاةُ سَوْفَ تَجْدُبُكَ إِلَى حَضْرَةِ اللَّهِ الْإِلَهِيَّةِ وَتُسَاعِدُكَ عَلَى التَّعْبِيرِ عَنْ مَحَبَّتِكَ، تَسْبِيحِكَ، وَصَلَاتِكَ عِنْدَمَا تَعْبُدُ اللَّهَ الْيَوْمَ.

خَلْفِيَّةٌ مُوجِزَةٌ عَنِ الْمَزَامِيرِ

قَبْلَ أَنْ يُتْرَجَمَ الْعَهْدُ الْقَدِيمُ إِلَى الْيُونَانِيَّةِ، كَانَ سِفْرُ الْمَزَامِيرِ يَقَعُ فِي خَمْسَةِ أَقْسَامٍ: الْمَزْمُورُ ١- ٤١، ٤٢- ٧٢، ٧٣- ٩٠، ٩١- ١٠٧، ١٠٨- ١٥٠. ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ مِنَ الْمَزَامِيرِ تُنْسَبُ إِلَى دَاوُدَ، بَيْنَمَا يُنْسَبُ إِلَى آسَافَ وَبَنِيهِ إِثْنَا عَشَرَ مَزْمُوراً، وَإِلَى بَنِي قُورَحَ أَحَدَ عَشَرَ مَزْمُوراً. يَعْتَقِدُ الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ حَزَقِيَّا كَتَبَ عَشْرَةَ مَزَامِيرَ، وَكُلًّا مِنْ مُوسَى وَعِزْرَا وَسُلَيْمَانَ كَتَبَ مَزْمُوراً وَاحِداً. كَثِيرٌ مِنَ الْمَزَامِيرِ لَا تَحْمِلُ إِسْمَ كَاتِبِهَا، وَمُعْظَمُ هَذِهِ كُتِبَتْ مِنْ قِبَلِ اللَّاوِيِّينَ - أَيِ حُدَامِ الْمَوْسِيقَى الَّذِينَ عَيَّنَهُمْ دَاوُدُ - أَوْ قَدْ يَكُونُ دَاوُدُ نَفْسُهُ كَاتِبُ بَعْضِ هَذِهِ الْمَزَامِيرِ الَّتِي لَا تَحْمِلُ إِسْمَ كَاتِبِهَا.

تَعْلِيمَاتٌ مُوسِيقِيَّةٌ

تُوجَدُ مُقَدِّمَاتٌ أَوْ مُمْلِحَاتٌ مُوسِيقِيَّةٌ تَقُولُ بِأَنَّ هَذَا الْمَزْمُورَ أَوْ ذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُرْتَمَّ مَعَ أَدْوَاتِ النِّفْخِ النُّحَاسِيَّةِ (نِحِيلُوث)، أَوْ مَعَ أَدْوَاتِ مُوسِيقِيَّةِ وَتْرِيَّةِ (نِغِيلُوث). تَعْنِي كَلِمَةُ "سِلاَه" الَّتِي نَجَدُهَا عِبْرَ سِفْرِ الْمَزَامِيرِ، "تَوَقَّفْ وَفَكِّرْ بِخُشُوعٍ فِي هَذَا." فَكَلِمَةُ "سِلاَه" كَانَتْ مِثْلَ الْوَقْفَةِ الْمَوْسِيقِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ، أَوْ عَزْفٌ فِي مَرِحَلَةٍ إِنْتِقَالِيَّةٍ.

لِمَنْ وَعَمَّنْ

إِنَّ كُتَّابَ الْمَزَامِيرِ الْقُدَّامَى، أَوْ كُتَّابَ التَّرَانِيمِ الْمُعَاَصِرِينَ، هُمْ أحياناً يَتَكَلَّمُونَ مَعَ اللَّهِ عَنِ اللَّهِ، وَهَذَا مَا يُسَمَّى بِالتَّسْبِيحِ وَالْعِبَادَةِ. وَأحياناً أُخْرَى يَتَكَلَّمُونَ مَعَ اللَّهِ عَنِ الْإِنْسَانِ، وَهَذَا مَا يُسَمَّى بِالصَّلَاةِ. وَأحياناً أُخْرَى، سَوْفَ تَجِدُ أَنَّ كُتَّابَ الْمَزَامِيرِ وَكُتَّابَ التَّرَانِيمِ لَا يَتَكَلَّمُونَ أَبَداً مَعَ اللَّهِ، بَلْ يَتَكَلَّمُونَ مَعَ الْإِنْسَانِ عَنِ اللَّهِ، وَهَذَا مَا يُسَمَّى بِالتَّبَشِيرِ وَالْوَعظِ. فَعِنْدَمَا تَقْرَأُ كَلِمَاتِ مَزْمُورٍ أَوْ تَرْنِيمَةٍ، إِسْأَلْ نَفْسَكَ، "لِمَنْ يَتَكَلَّمُ الْكَاتِبُ، وَعَمَّنْ يَتَكَلَّمُ؟" إِنْ طَرَحَ السُّؤَالَ وَالْإِجَابَةَ عَلَيْهِ سَوْفَ يُعْطِيكَ بَصِيرَةً ثَابِتَةً لِلرَّسَالَةِ التَّعْبُدِيَّةِ فِي الْمَزَامِيرِ الَّتِي تَقْرَأُهَا.

مَوَاضِيعُ فِي سَفَرِ الْمَزَامِيرِ

سوفَ تكتشفُ عبرَ صفحاتِ سفرِ المزاميرِ أربعةَ مواضيعَ ينمُّ التَّشديدُ عليها، وأهمُّها هو ما نُسِّمِيهِ "موضوعَ الرَّجُلِ الْمُبَارَكِ". فمزمورُ الرَّجُلِ الْمُبَارَكِ يشرِّحُ دائماً أنَّ بَرَكَاتِ الرَّجُلِ الْمُبَارَكِ هي لَيْسَتْ صُدْفَةً، بل هي مَائِدَةٌ عَوَاقِبُ تَنْتُجُ عن إيمانٍ وألويَّاتِ الْمُرْتَمِ الرُّوحِيَّةِ. سوفَ تجدُ هذا الموضوعَ في المزمورِ ١، ٢٣، و٣٢، و١٢٨، ومزاميرُ أُخْرَى كَثِيرَةٌ.

فالمَوْضُوعُ العاطِفيُّ هو أيضاً واضحٌ في المزاميرِ. هذه المزاميرُ تُخاطِبُ عواطفَ مُحدَّدة، وغالباً تُرينا التَّجَاوِبَ الصَّحِيحَ معَ هذه العواطفِ. فمهما كانَ الجَوُّ العاطِفيُّ الذي قد تَكونُ تَجتازُهُ عندما تَقْرَأُ المزاميرِ، فسوفَ تَجدُ ذلكَ الجَوُّ العاطِفيُّ في المزاميرِ. فإن كُنْتَ مُحِبِّباً، أو إن كُنْتَ مُضْطَرِّباً وتعيشُ تحتَ ضَغطِ ما، أو تَتَوَّءُ تحتَ ذَنْبٍ ثَقِيلٍ أو قَلْبٍ مَكْسُورٍ، أو إن كُنْتَ تَفِيضُ بالشُّكْرِ وِعُرْفَانِ الْجَمِيلِ على الكثيرِ مِنَ الْبَرَكَاتِ التي تَتَمَنَّعُ بها، وتُرِيدُ أَنْ تُعَبِّرَ عن شُكْرِكَ بِالْعِبَادَةِ، فمهما كانتَ مشاعِرُكَ التي تَقْتَرِبُ مَعَهَا لَتَقْرَأُ المزاميرِ، فسوفَ تَجدُ مزاميرَ تُعالِجُ هذه المشاعرِ وتُريكُ ماذا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ تَجاهها.

دائماً لَاحِظْ ماذا فَعَلَ كاتِبُ الْمَزْمُورِ حِيالَ هذا الشُّعُورِ أو ذاكِ، ويُمكنُكَ أَنْ تَفْعَلَ الأمرَ ذاتَهُ حِيالَ مشاعِرِكَ. بعضُ الأمثلةِ على هكذا مزاميرِ عاطفيةٍ إختباريةٍ، هي المزاميرِ ٣ و ٤ و ٣٢، و٣٤، و٥١ و ٥٥.

مَوْضُوعٌ آخرُ حاسمٌ نَجِدُهُ في سفرِ المزاميرِ هو مَوْضُوعُ الْعِبَادَةِ. هُنَا نَجِدُ أَنَّ كاتِبَ المزاميرِ لا يَتَكَلَّمُ فقط معَ اللَّهِ عن اللَّهِ، بل وأيضاً يُشجِّعُنَا لِنَعْبُدَ وَيُعَلِّمُنَا لِنَعْبُدَ. بعضُ مزاميرِ الْعِبَادَةِ هي المزمورِ ٨ و ٦٣ و ١٠٠ و ١٠٣ و ١٠٧.

لقد كَتَبَ مُرْتَمُو المزاميرِ أيضاً كَأَنْبِيَاءٍ في مُناسَباتٍ مُعَيَّنَةٍ، واضِعِينَ بِذَلِكَ ما نُسِّمِيهِ "المزاميرِ المَسياوِيَّةِ". تَتَكَلَّمُ هذه المزاميرُ نَبَوِيًّا عن مَجيءِ الْمَسِيحِ. فلقد تَكَلَّمَ داوُدُ نَبَوِيًّا عن المَجيءِ الْأَوَّلِ لِلْمَسِيحِ، وعن قِيامَتِهِ، في المزمورِ ١٦. ووعظَ بِطَرُوسٍ من هذا الْمَزْمُورِ يَوْمَ الْخَمْسِينَ. أمثلةٌ أُخْرَى عن المزاميرِ الْمَسياوِيَّةِ هي المزمورِ ٢، ٨، ٢٢، ٤٦، و ١١٠.

الإطارُ التَّاريخيُّ لِلْمَزَامِيرِ

إنَّ الظروفَ التاريخيةَ للكثيرِ من المزاميرِ سوفَ تُوجدُ غالباً في ١ و ٢ صموئيل وأخبارِ الأَيَّامِ الْأَوَّلِ والثَّانِي. هذا لأنَّ حوالي نصفَ المزاميرِ كَتَبها داوُد، وقصةُ حياةِ داوُد تُوجدُ في هذه الأسفارِ التاريخيةِ. أحياناً يُخبرُنَا محتوى مزمورٍ كَتَبَهُ داوُد، أو المُقَدِّمةُ التي نَجِدُها في إفتتاحيةِ بعضِ مزاميرِ داوُد، سوفَ تُخبرُنَا أينَ كانَ داوُد وماذا كانَ يَفْعَلُ عندما كَتَبَ هذا المزمورِ المُعَيَّن. هذه المعلوماتُ الإِضافيةُ سوفَ تُساعدُكَ، بالإِضافةِ إلى الأسفارِ

التَّارِيخِيَّةِ، لِلْحُصُولِ عَلَى مَعْلُومَاتٍ عَنِ خَلْفِيَّةِ الْمَزْمُورِ الَّذِي تَقْرَأُهُ. فإِطْلَاعُكَ عَلَى الْخَلْفِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ لِمَزَامِيرَ مُعَيَّنَةٍ، سَوْفَ يُسَاعِدُكَ عَلَى تَفْسِيرِ وَتَطْبِيقِ هَذِهِ الْمَزَامِيرِ عَلَى حَيَاتِكَ.

وَفِي وَسْطِ الْمَحْتَوَى التَّعْبُدِيِّ الْجَمِيلِ، نَجِدُ بَعْضَ كُتَابِ الْمَزَامِيرِ يُصَلُّونَ لِأَعْدَائِهِمْ. فِي هَذِهِ الصَّلَوَاتِ، غَالِبًا يَطْلُبُ الْمُرْتَمُونَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُسَاعِدَهُمْ عَلَى تَحْطِيمِ أَسْنَانِ أَعْدَائِهِمْ بِسَيْفِهِمْ، أَوْ بِأَنْ يَسْحَقُوا أَعْدَاءَهُمْ بِسِلَاحِهِمْ. وَهَذَا يَتَعَارَضُ مَعَ تَعْلِيمِ الْمَسِيحِ الْقَائِلِ، "أَجِبُوا أَعْدَاءَكُمْ، بَارِكُوا لِأَعْيُنِكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ وَيُضْطَهُدُونَكُمْ." (مَتَّى ٥ : ٤٤)

هَذَا سَبَبٌ آخَرٌ لِمُضْرُورَةِ الْإِطْلَاعِ عَلَى الْخَلْفِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ لِلْمَزَامِيرِ الَّتِي نَقَرُّهَا. فَهَذِهِ التَّرَانِيمُ الْقَدِيمَةُ الْمُوحَاةُ كُتِبَتْ فِي زَمَنِ النَّامُوسِ، الَّذِي كَانَ يُعَلِّمُ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَقْبُولِ أَنْ تَكْرَهُ أَعْدَاءَكَ، خَاصَّةً إِذَا كَانُوا يُهَيِّنُونَ الرَّبَّ. (تَثْنِيَّةُ ٢٣ : ٣-٦) لِهَذَا، لَمْ يَرِ دَاوُدُ أَيَّ تَنَاقُضٍ عِنْدَمَا صَلَّى، "أَلَا أَبْغِضُ مُبْغِضِيكَ يَا رَبُّ؟ بَعْضًا تَامًا أَبْغِضْتُهُمْ، وَأَقَطَعْتُهُمْ بِسَيْفِي إِرْبًا، مِثْلَ غُبَارِ الْأَرْضِ." تُؤَكِّدُ الْخَلْفِيَّةُ التَّارِيخِيَّةُ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ كَانَتْ مُلَائِمَةً عِنْدَمَا كُتِبَتْ.

الْمَزْمُورُ الثَّلَاثُ وَالْعِشْرُونَ

"حَدِيثُ الْخِرَافِ"

يُعْتَبَرُ مَزْمُورُ الرَّاعِي لِداوُدَ الْمَزْمُورَ الْمُفَضَّلَ وَالْإِصْحَاحَ الْمُفَضَّلَ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَلَائِكِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فِي هَذَا الْمَزْمُورِ، كَانَ دَاوُدُ يَعْظُ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ إِلَى إِنْسَانٍ عَنِ اللَّهِ. وَالشَّكْلُ الْأَدْبِيُّ لِهَذَا الْمَزْمُورِ هُوَ "حَدِيثُ الْخِرَافِ"، لِأَنَّنَا نَجِدُ حَرْوْفًا يَتَكَلَّمُ مَعَ الْخِرَافِ الْأُخْرَى عَنِ عَظْمَةِ رَاعِيهِ:

"الرَّبُّ رَاعِيٌّ،

فَلَا يُعَوِّزُنِي شَيْءٌ.

فِي مِرَاعٍ خُضِرٍ يُرْبِضُنِي.

إِلَى مِيَاهِ الرَّاحَةِ يُورِدُنِي.

يَرُدُّ نَفْسِي.

يَهْدِينِي إِلَى سُبُلِ الْبَرِّ،

مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ.

أيضاً إذا سرتُ في وادي ظلِّ الموت،

لا أخافُ شرّاً لأنَّكَ أنتَ معي.

عصاكِ وعُكَّازِكِ هُما يُعزِّيانِي.

تُرتِّبُ قُدَّامي مائدةً تُجاهَ مُضايِقِي.

مسحتَ بالذَّهْنِ رأسي.

كأسي رِيّاً.

إنَّما خَيْرٌ ورحمةٌ يتبعانِي كُلَّ أَيَّامِ حياتِي،

وأسكُنُ في بيتِ الرَّبِّ إلى مَدَى الأَيَّامِ."

بالإضافة إلى كَوْنِ المزمور ٢٣ مزموراً وعظيماً، فهو أيضاً مزمور الرَّجُلِ المُبارِكِ. في كُلِّ مزامير الرَّجُلِ المُبارِكِ، تُعتَبَرُ بركاتُ الرَّجُلِ المُبارِكِ مشروطةً جدّاً. في هذا المزمور، بعضُ بركاتِ داود هي المراعي الخضراء، ومياهُ الرَّاحَةِ، والكأسُ الفانِضةُ. والشَّرْطُ الذي تُبنى عليه هذه البركات، يُمكنُ إيجادُه في كَلِماتِ المزمور الإفتتاحيَّة: "الرَّبُّ راعي". فكلُّ البركات التي يُظهرها داود في مزمور الرَّاعي الجميل هذا، تدخلُ إلى إختباره لله عندما يَقولُ أنَّ الرَّبَّ راعي.

إن المراعي الخضراء هي إستعارةٌ تُشيرُ إلى البركاتِ الماديَّة. عندما يُخبرنا داود أنَّ كأسه إمتلأت "رِيّاً" (مزمور ٢٣: ٥)، يستخدِمُ إستعارةً تُشيرُ إلى السَّعادة. فهو رَجُلٌ سَعِيدٌ. فما هو المِفْتاحُ لِسَعادَتِهِ؟ الرَّبُّ هو راعي داود. وطالما كان الرَّبُّ راعي داود، سيَكُونُ لَهُ كُلُّ ما يَحتاجُه – المراعي الخُضراء، المياهُ الهادئة، الكأسُ الرِّيِّ، ومائدةٌ سَخِيَّةٌ في البرِّيَّة، وإلى ما ذلك. ولكنَّ كُلَّ هذه البركات مشروطةٌ. وجميعها مَبْنِيَّةٌ على أساسِ تلكِ العَلاقة بين داود وبين راعي. هذا المزمور يتكلَّمُ عن أهمِّ عَلاقةٍ في العالم، علاقتنا مع الله.

العلاقة في مكانها الصَّحيح

عندما ندركُ مقدارَ أَهمِّيَّةِ هذه العَلاقة، يتوجَّبُ علينا عندها أن نَسألَ كيفَ يُمكنُ أن تتأسَّسَ هذه العَلاقة. الجوابُ على هذا السُّؤالِ نَجِدُه في العددِ الثَّاني من المزمور: "يُرَبِّضُنِي". يُؤسِّسُ الرَّاعي سُلْطَنَتَه على الخِرافِ بضربهم على قُرُونهم بِرَفْقٍ، الأمرُ الذي يَقولُ لَهُم من خالِهِ، "أرَبِّضُوا". وغالباً ما يُصِبِحُ الرَّبُّ راعيَنا بضربنا على رأسنا وقرننا بواسطة مُشكِلَةٍ صَغِيرَةٍ التي نَعجُرُ عن تَحْطِيبِها أو تَجَنُّبِها.

العلاقة في الممارسة

فقط بعد أن يُصِحَّ الرَّبُّ رَاعِيَنَا، عندها فقط يستطيع أن يَقُودَنَا. وبما أن الخراف تستطيع أن تشرب فقط من المياه الهادئة مثل البثور، فإن المياه الهادئة تُمِثِّلُ تلك الأماكن والظروف الملائمة بالنسبة لنا. فرَاعِيْنَا العَظِيم لا يستطيع أن يَقُودَنَا إلى تلك الأماكن، إلى أن نرْبُضَ ونَعْتَرِفَ بأمرين: أن الله رَاعِيْنَا، وأننا نحن خرافة. الأعداد التالية تصف هذه العلاقة في موقعها الصحيح. هذا يعني أنه علينا أن نَقِفَ ونَلْعَبَ دورَ الرَّاعِي، وعندها سيَتِمُّ ترميمُ علاقتنا مُجَدِّدًا.

العلاقة في إطارها الصحيح

عندما يضع داود هذه العلاقة في إطارها الصحيح، يُعطينا الوصف الأكثر جمالاً في الكتاب المقدس لهذه العلاقة بين الله وبين الكائن البشري. فهو يقول لنا أنه ما همَّ أين يَقُودُهُ رَاعِيَهُ، فهو يعرف أن رَاعِيَهُ سيَكُونُ مَعَهُ، وسيمشي أمامه، وسيؤمِّنُ له حاجته، وسيسكُبُ عليه بركاته، وسوف يملأ كأسه لتكون رِيًّا. وهو يعرف أيضاً أن هذه العلاقة ستستمرُّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ، وإلى الأبد.

طَبَّقْ رسالة المزمور الثالث والعشرين على حياتك. قد تتذكَّرُ عندما جَعَلْتَ الرَّبَّ رَاعِيَكَ. لقد نفرست بالمراعي الخضراء بجانب المياه الهادئة، وإمتلاً كأسك بالبركات. فهل يبست حشائش المراعي الخضراء، وهل فرغت كأسك منذ ذلك الحين؟ هل سبق وابتعدت عن المياه الهادئة، لأنك قررت أن تكون أنت بنفسك راعياً لحياتك؟

عليك أن تدرك أنك تحتاج إلى ردة لنفسك. إسمخ لله أن يضع علاقتك معه في مكانها الصحيح، وأن تبقى هذه العلاقة في مكانها لأجل اسمه. ثم عش حياتك وأنت عالم بأن رَاعِيَكَ مَعَكَ، وهو يمشي أمامك، ويتبعك من ورائك ببره ورحمته، وهو يمد لك مائدة سخية في البرية، وهو يبارك حياتك ويمسحك بدهنه، وهو يملأ كأسك سعادة حتى الفيض. عش بتأكيد أنه قادر أن يعمل هذه الأمور جميعها كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ، وواجه الأبدية بتفاؤل لا ينضب، عالماً أن الرب قادر أن يعمل هذه الأمور إلى الأبد.

المزمورُ الأوَّل

الرَّجُلُ المُبَارَكُ

المزمورُ الأوَّلُ هُوَ مَزْمُورُ الرَّجُلِ المُبَارَكِ بِدُونِ مُنَازَعٍ. وَكُلُّ مَزَامِيرِ الرَّجُلِ المُبَارَكِ
الباقِيَّةِ تَتَّبَعُ النَّمُودَجَ العامَ للمزمورِ الأوَّلِ، وتُظهِرُ لَنَا أَنَّ الرَّجُلَ المُبَارَكِ وبركاته ليسَ وليدَ
الصُّدْفَةِ أو الحظِّ السَّعِيدِ، بل وليدَ القناعاتِ والخياراتِ الرَّاسِخَةِ. يَقُولُ المزمورُ الأوَّلُ:

"طوبى للرجل

الذي لم يسلك في مشورة الأشرار

وفي طريق الخُطاة لم يقف

وفي مجلسِ المُستهزئينَ لم يجلسَ

لكن في ناموسِ الربِّ مسرتهُ

وفي ناموسِهِ يلهجُ نهاراً وليلاً.

فيكونُ كشجرةٍ مغروسةٍ عند مجاري المياه

التي تُعطي ثمرَها في أوانه

وورقُها لا يذبلُ

وكلُّ ما يصنعهُ ينجحُ.

ليسَ كذلك الأشرارُ

لكنَّهُم كالعُصافَةِ التي تُدرِّبها الريحُ.

لذلك لا تقومُ الأشرارُ في الدين

ولا الخُطاةُ في جماعةِ الأبرارِ.

لأن الربَّ يعلمُ طريقَ الأبرارِ

أما طريقُ الأشرارِ فتهلكُ."

من هُوَ الرَّجُلُ المُبَارَكُ؟

ينكّم المزمورُ الأوّل عن إنسانين أو رجلين – الإنسانُ المُبارك، والإنسانُ الشّرير. إن المزمور الأوّل هو شكلٌ من الشعرِ العِبري الذي هو أسلوبٌ سلبي للتعبير عن حقيقةٍ إيجابية. وسوف يُخبرنا داود في المزمور الأوّل عَمَّن هو الإنسانُ المُبارك عندما يقول لك ما ليس هو. فمثلاً، الإنسانُ المُبارك هو مُباركٌ أولاً لأنّه لا يسألُك في مَشوَرَةِ الأشرار " (مزمور ١ : ١١)، الذي يعني أنّه يسألُك في مَشوَرَةِ الله. فهو يجدُ المَشوَرَةَ في كَلِمَةِ الله، التي بها "يلهجُ نهاراً وليلاً." (٢ب)

أيضاً، الرَّجُلُ المُبارك "لا يجلسُ في مجلسِ المُستهزئين." (١ ج) تُخبرنا هذه الجُملةُ السَلبيّة أنّ الإنسانَ المُبارك يجلسُ في مجلسِ المؤمنين لأنّه مؤمن. والرجُلُ المُبارك يُؤمنُ بكلمةِ الله، "وفي ناموسِ الرَّبِّ مسرّتُهُ." (١٢) فهو يعرفُ أنّ المِفْتَاحَ لِجَعْلِ كَلِمَةِ اللهِ قُوَّةً هائلةً هُوَ بإطاعةِ كلمةِ الله. فهو يسألُك في مَشوَرَةِ اللهِ، التي يكتشفُها في كلمةِ الله.

لقد كُتِبَ هذا المزمور على يدِ داود، الذي كان الملكَ الثاني على إسرائيل، وأفضلُ مُلوكِ إسرائيل على الإطلاق. وبِحَسَبِ ناموسِ موسى، كانت مسؤوليةُ الملكِ أن ينسخَ الناموسَ بعنايةٍ، وأن يجعلَ من نسخةِ الناموسِ خاصّته رقيقه الدائم. "فَتَكُونُ مَعَهُ وَيَقْرَأُ فِيهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ لِكِي يتعلّمَ أن يتقيَ الرَّبَّ إلهَهُ ويحفظَ جميعَ كَلِمَاتِ هذه الشريعةِ وهذه الفرائضِ ليعمَلَ بها." (تثنية ١٧ : ١٩) بناءً على المزمور الأوّل، نقرأ في سفر المزامير الموحى هذا أنّه بإمكاننا أن نستنتجَ أنّ هذا الترتيب جعلَ داود يُحبُّ كلمةَ الله، وهذه المحبّة لكلمةِ الله جعلته رجلاً مُباركاً.

فما هي بركاتُ الرَّجُلِ المُبارك؟ بعدَ وصفِ القناعاتِ والخياراتِ التي تُشكّلُ الشُّروطَ التي نَقُودُ إلى بركاتِ الرَّجُلِ المُبارك، يُعدّدُ داودُ بركاتِهِ:

الإستقرار

فالرجُلُ المُبارك هو مثل شجرةٍ مغروسةٍ عند مجاري المياه، حيثُ الأرضُ رطبةٌ والجذورُ عميقةٌ. هل سبقَ لكَ وحاولتَ إقتلاعَ شجرةٍ. إن فعلتَ هذا، سوف تجدُ أنّ الشجرةَ مُتجذّرةً في الأرض، ولن تتحرّكَ من مكانها. لهذا إستُخدمتِ الشجرةُ كمثالٍ واضحٍ عن الإستقرار الذي يتمتّعُ به الرَّجُلُ المُبارك. ولقد وصفَ يسوعُ هذا النوعَ من الإستقرار عندما قال، "فالذي يسمعُ أقوالي ويعمَلُ بها أشبهُ برجلٍ عاقِلٍ بنى بيتهُ على الصخر، فعندما جاءتِ الرياحُ وصدمت ذلكَ البيت، لم يسقطْ لأنّه كان مُؤسّساً على الصخر." (متى ٧ : ٢٤، ٢٥)

الإثمار

الرجل المبارك هو رجلٌ مُثمر. فالشجرةُ التي تُمَثِّلُ حياتَهُ تُعْطِي ثَمَرَهَا فِي أَوَانِهِ (مزمور ١: ٣ب). مما يعني أنه في كُلِّ مَوَاسِمِ حَيَاتِهِ، يَأْتِي بِالثَّمَرِ الْمُنَاسِبِ لِذَلِكَ الْمَوْسِمِ مِنَ الْحَيَاةِ. وَلَئِنَّ هَذَا الرَّجُلَ الْمُبَارَكَ هُوَ مُؤْمِنٌ، وَلِأَنَّهُ يُؤْمِنُ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَيَلْهَجُ بِهَا وَيُطِيعُهَا، فَسَوْفَ يَأْتِي بِثَمَارِ اللَّهِ فِي تَوْقِيَتِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى مَا وَرَاءَ الْكَلِمَةِ إِلَى عِلَاقَةِ شَخْصِيَّةٍ مَعَ اللَّهِ نَفْسِهِ. هَذِهِ الْعِلَاقَةُ هِيَ مِفْتَاحُ كَوْنِهِ مُثْمِرًا. وَلَقَدْ عَلَّمَ يَسُوعُ أَنَّنَا عَلَيْنَا أَنْ نَتَّبِعَ فِيهِ كَمَا يَتَّبِعُ الْعُصْنُ فِي الْكِرْمَةِ، إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَكُونَ مُثْمِرِينَ.

العُمرُ الطَّويل

الرَّجُلُ الْمُبَارَكَ لَا يَتَحَوَّلُ إِلَى إِنْسَانٍ جَافٍ مَمْلُوءٍ بِالْمَرَارَةِ عِنْدَمَا يَتَقَدَّمُ فِي السِّنِّ. نَقْرَأُ أَنَّ الشَّجَرَةَ الَّتِي تُشِيرُ إِلَيْهِ "وَرَفُهَا لَا يَذْبُلُ". يُدَكِّرُنَا هَذَا بِكَلِمَاتِ الشَّاعِرِ الَّتِي كَتَبَ يَقُولُ، "إِكْبَرُ مَعِي. فَالْأَفْضَلُ لَا يَزَالُ آتٍ. الْأَخِيرُ الَّذِي صُنِعَ الْأَوَّلُ مِنْ أَجْلِهِ. فَكُلُّ يَوْمٍ يَعِيشُهُ يُحْضِرُهُ مِنْ أَجْلِ الْيَوْمِ التَّالِي الَّذِي سَيَعِيشُهُ. فَنَوَعِيَّةُ حَيَاتِهِ تُصْبِحُ أَفْضَلَ وَأَفْضَلَ، كُلَّمَا إِزْدَادَ عَدَدُ السِّنِّينَ إِلَى حَيَاتِهِ."

الإزدهار

نَقْرَأُ أَيْضًا عَنِ الرَّجُلِ الْمُبَارَكَ: "وَكُلُّ مَا يَصْنَعُهُ يَنْجَحُ"، (أَيُّ أَنَّ الرَّجُلَ الْمُبَارَكَ يَزْدَهَرُ). (مزمور ١: ٣د) وَلَكِنَّ دَاوُدَ لَمْ يَكُنْ يُشِيرُ هُنَا إِلَى الْإِزْدِهَارِ الْمَادِّي بَلْ إِلَى الْإِزْدِهَارِ الرُّوحِيِّ. فِيمَا أَنَّ الْأَسْفَارَ الشَّعْرِيَّةَ تُرَكِّزُ عَلَى الْإِنْسَانِ الدَّاخِلِيِّ بِدَلِّ التَّرْكِيزِ عَلَى الْإِنْسَانِ الْخَارِجِيِّ، بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَفْتَرِضَ أَنَّ إِزْدِهَارَ الرَّجُلِ الْمُبَارَكَ هُوَ إِزْدِهَارُ إِنْسَانِهِ الدَّاخِلِيِّ، وَهُوَ يُؤَيِّزُ عَلَى نَوَعِيَّةِ حَيَاتِهِ الْأَبَدِيَّةِ. فَكُلُّ مَا نَتْرُكُهُ وَرَاءَنَا عِنْدَمَا نَتْرُكُ هَذَا الْعَالَمَ، لَا يَسْتَحِقُّ الْعَيْشَ مِنْ أَجْلِهِ فِي هَذَا الْعَالَمِ.

الأمَان

أَخِرُ بَرَكَاتِ الرَّجُلِ الْمُبَارَكَ يُعَبِّرُ عَنْهَا سَلْبِيًّا: "لِذَلِكَ لَا تَقُومُ الْأَشْرَارُ فِي الدِّينِ، وَلَا الْخُطَاةُ فِي جَمَاعَةِ الْأَبْرَارِ." (مزمور ١: ٥) فَالرَّجُلُ الْمُبَارَكَ لَدَيْهِ أَمَانٌ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ وَفِي الْحَيَاةِ الْعَتِيدَةِ، لِأَنَّهُ يَسْلُكُ بِحَسَبِ مَشُورَةِ اللَّهِ، الَّتِي يَكْتَشِفُهَا فِي قَلْبِ كَلِمَةِ اللَّهِ. وَهُوَ سَيَقِفُ أَمَامَ عَمَلِ الْمَسِيحِ الْمُتَمِّمِ يَوْمَ الدَّيْنُونَةِ، وَسَيَنْضَمُّ إِلَى جَمَاعَةِ الْأَبْرَارِ إِلَى الْأَبَدِيَّةِ. وَكَمَا تَظْهَرُ الْبَرَكَاتُ فِي مَزْمُورِ الرَّاعِي، فَإِنَّ بَرَكَاتِ الرَّجُلِ الْمُبَارَكَ فِي الْمَزْمُورِ الْأَوَّلِ هِيَ: "كُلُّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ، وَإِلَى الْأَبَدِ."

إِنْسَانَانِ جَالِسَانِ عَلَى مَقْعَدٍ، أَيُّ مِنْهُمَا هُوَ أَنْتَ؟

يَصِفُ دَاوُدُ الْإِنْسَانَ الشَّرِيرَ بِقَوْلِهِ بِبَسَاطَةٍ، "أَيْسَ كَذَلِكَ الْأَشْرَارُ." (أ٤) فَالشَّرِيرُ لَا يُؤْمِنُ كَمَا يُؤْمِنُ الْإِنْسَانُ الْمُبَارَكُ. وَالشَّرِيرُ لَا يَتَمَتَّعُ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَا يَلْهَجُ بِهَا نَهَاراً وَليلاً. وَنَتِيجَةً لِهَذَا، لَا يَتَمَتَّعُ بِالِاسْتِقْرَارِ وَلَا بِالِإِثْمَارِ وَلَا بِطُولِ الْأَعْمَارِ وَلَا بِالِازْدِهَارِ وَلَا بِالْأَمَانِ، وَلَنْ يَخْتَبِرَ نَوْعِيَّةَ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي سَيَخْتَبِرُهَا الْإِنْسَانُ الْمُبَارَكُ.

فَلِمَاذَا الْإِنْسَانُ الْمُبَارَكُ مُبَارَكٌ؟ بِسَبَبِ الْخِيَارَاتِ الَّتِي يَتَّخِذُهَا. فَهُوَ يَخْتَارُ أَنْ يُؤْمِنَ وَأَنْ يَلْهَجَ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَهُوَ يَخْتَارُ بَأَن يَبْتَعِدَ عَنِ الْغَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنِ طُرُقِهِمْ غَيْرِ الْمَثْمَرَةِ. فَبِرَكَاتِهِ هِيَ مَائِدَةٌ عَوَاقِبُ خِيَارَاتِهِ.

إِنَّ تَحَدِّيَ مَزْمُورِ كُلِّ إِنْسَانٍ مُبَارَكٍ يَطْرَحُ السُّؤَالَ التَّالِيَّ: "إِنْسَانَانِ جَالِسَانِ عَلَى مَقْعَدٍ، أَيُّ مِنْهُمَا هُوَ أَنْتَ؟" بِنِعْمَةِ اللَّهِ، هَلْ أَنْتَ الرَّجُلُ الْمُبَارَكُ؟ وَهَلْ تَجْلِسُ فِي مَقْعَدِ الْمُؤْمِنِ؟ وَهَلْ تُؤْمِنُ بِكَلِمَةِ اللَّهِ؟ وَهَلْ تَلْهَجُ بِهَا نَهَاراً وَليلاً؟ وَهَلْ تَسَلُّكَ فِي الْمَشُورَةِ الَّتِي تَكْتَشِفُهَا مِنْهَا؟ بِحَسَبِ الْمَزْمُورِ الْأَوَّلِ، هَذَا هُوَ الْمِفْتَاحُ لِبرَكَاتِ الرَّجُلِ الْمُبَارَكِ.

الْمَزْمُورُ الْمِنَةُ وَالثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ

هَلِ الْكُلُّ مُبَارَكٌ؟

"طُوبَى لِكُلِّ مَنْ يَتَّقِي الرَّبَّ

وَيَسَلُّكَ فِي طُرُقِهِ.

لَأَنَّكَ تَأْكُلُ تَعَبَ يَدَيْكَ.

طُوبَاكَ وَخَيْرٌ لَكَ.

امرَأَتُكَ مِثْلُ كَرْمَةٍ مُثْمَرَةٍ

فِي جَوَانِبِ بَيْتِكَ.

بَنُوكَ مِثْلُ غُرُوسِ الزَّيْتُونِ

حَوْلَ مَائِدَتِكَ.

هَكَذَا يُبَارَكُ الرَّجُلُ

الْمُتَّقِي الرَّبِّ.

يُبَارِكُكَ الرَّبُّ مِنْ صِهْيُونَ

وَتُبْصِرُ خَيْرَ أُورُشَلِيمَ كُلِّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ.

وترى بني بَنِيكَ.

سلامٌ على إسرائيل.

هل الكُلُّ مُبَارَكٌ؟

كثيرون يُحِبُّونَ أَنْ يَضَعُوا نَقْطَةً نِهَائِيَّةً بَعْدَ عِبَارَةِ "طُوبَى لِكُلِّ"، الَّتِي قَرَأْتَهَا لَتَوَي، لِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَقُولَ الْمَزْمُورَ "مُبَارَكُ الْكُلِّ". عَلَى أَيَّةِ حَالٍ، تُخْبِرُنَا أَسْفَارُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ أَنَّ بَرَكَاتِ الرَّجُلِ الْمُبَارَكِ مَشْرُوطَةٌ: "طُوبَى لِكُلِّ مَنْ يَنْقِي الرَّبَّ وَيَسْلُكُ فِي طُرُقِهِ." (مزمور ١٢٨: ١) وَكَمَا كُنَّا نَتَعَلَّمُ، الرَّجُلُ الْمُبَارَكُ يِنَالُ الْبَرَكَاتِ بِسَبَبِ قَنَاعَاتِ إِيْمَانِهِ وَخِيَارَاتِهِ الْحَكِيمَةِ.

يُعَلِّمُ هَذَا الْمَزْمُورُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَخَافُ الرَّبَّ هُوَ مُبَارَكٌ، وَلَكِنْ هَذَا يُثِيرُ سُؤَالَ آخَرَ: أَلَمْ يُعَلِّمْنَا سَفَرُ أَيُّوبَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُبَارِكُ بِالضَّرُورَةِ دَائِمًا الصَّالِحِينَ؟ فَعِنْدَمَا قَالَ أَصْدِقَاءُ أَيُّوبَ لَهُ أَنَّ اللَّهَ يُعَاقِبُ الَّذِينَ يُخْطِئُونَ وَيُبَارِكُ الَّذِينَ لَا يُخْطِئُونَ، قَالَ لَهُمُ اللَّهُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى خَطَأٍ. وَلَكِنَّا نَتَعَلَّمُ مِنْ مَزَامِيرِ الرَّجُلِ الْمُبَارَكِ أَنَّ الْإِنْسَانَ الْمُبَارَكَ عَادَةً يَحْصُدُ مَا يَزْرَعُ، وَعِنْدَمَا يَتَأَلَّمُ أَشْخَاصٌ مِثْلَ أَيُّوبَ، يَكُونُونَ الْإِسْتِنَاءَ وَلَيْسَ الْقَاعِدَةَ.

سْتِرَاتِيஜِيَّةُ اللَّهِ

يُعَلِّمُنَا الْمَزْمُورُ ١٢٨ أَنَّ بَرَكَاتِ الرَّجُلِ الْمُبَارَكِ تَتَلَاءَمُ مَعَ سْتِرَاتِيஜِيَّةِ اللَّهِ لِلتَّأثيرِ عَلَى الْعَالَمِ. وَكَمَا تَعَلَّمْنَا مِنْ سَفَرِ أَيُّوبَ، التَّجَاوُبُ الْمُنَاسِبُ عَلَى كَوْنِنَا مُبَارَكِينَ لَيْسَ، "يَا رَبِّ مَاذَا سَتُعْطِينِي؟" بَلْ "يَا رَبِّ كَيْفَ يُمَكِّنُ كَوْنِي إِنْسَانًا مُبَارَكًا أَنْ يُؤَدِّيَ لَكَ مَنفَعَةً؟"

سْتِرَاتِيஜِيَّةُ اللَّهِ تَتَبَعُ نَمُودَجًا. فَهُوَ يَجِدُ إِنْسَانًا يُؤْمِنُ بِهِ وَيُطِيعُهُ، وَيَخْتَارُ أَنْ يُبَارِكَهُ (١-٢) وَهَكَذَا تَجْتَازُ بَرَكَهُ اللَّهُ مِنَ الرَّجُلِ إِلَى زَوْجَتِهِ، فَتَصْبِحُ زَوْجَتُهُ مِثْلَ كَرَمَةٍ مُثْمِرَةٍ فِي بَيْتِهِ (١٣). ثُمَّ تَجْتَازُ الْبَرَكَهُ عَبْرَ الرَّجُلِ وَعَبْرَ زَوْجَتِهِ الْمُثْمِرَةِ إِلَى أَوْلَادِهِمْ، الَّذِينَ نَقَرَأُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ "مِثْلُ غُرُوسِ الزَّيْتُونِ حَوْلَ مَائِدَتِكَ." (٣ب) وَتَرْمُزُ شَجَرَةُ الزَّيْتُونِ إِلَى الْإِثْمَارِ.

تَجْتَازُ بَرَكَاتُ اللَّهِ مِنْ خِلَالِ وَحْدَةِ الْعَائِلَةِ لِتُبَارِكَ مَمْلَكَةَ شَعْبِ اللَّهِ، الَّتِي كَانَتْ الْمُجْتَمَعِ الرَّوْحِيِّ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ. وَمِنْ خِلَالِ هَذَا الْمُجْتَمَعِ الرَّوْحِيِّ، تُؤَثِّرُ بَرَكَهُ اللَّهُ لِهَذِهِ الْعَائِلَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ عَلَى الْأُمَّةِ، ثُمَّ عَلَى الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ. يُعَلِّمُ هَذَا الْمَزْمُورُ بِشَكْلِ أَسَاسِيٍّ

أَنَّ اللَّهَ يَسْتَخْدِمُ وَحْدَةَ الْعَائِلَةِ لِيُخْبِرَ الْعَالَمَ عَنْ نَفْسِهِ. فَعِنْدَمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُؤَثِّرَ عَلَى الْمَدِينَةِ،
الوطن، والعالم، يبدأ بإنسانٍ مُبَارَكٍ وبعائلةٍ مُبَارَكَةٍ.

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالسَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

أُولَوِيَّاتُ الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ

"إن لم يبن الربُّ البيت

فباطلاً يتعبُ البناؤون.

إن لم يحفظ الربُّ المدينة

فباطلاً يسهرُ الحارس.

باطلٌ هو لكم أن تُبَكِّرُوا إِلَى الْقِيَامِ

مُؤَجِّرِينَ الْجُلُوسِ

آكلين خُبزِ الأتعاب.

لكنَّهُ يُعْطِي حَبِيبَهُ نَوْمًا.

هوذا البنون ميراثٌ من عندِ الربِّ

ثمرَةُ البطنِ أُجْرَةٌ.

كسِهَامٍ بِيَدِ جَبَّارٍ

هكذا أبناءُ الشبيبة.

طوبى للذي ملأ جُعبَتَهُ منهم.

لا يخزَون

بل يُكَلِّمُونَ الأعداءَ فِي البَابِ."

هذا المزمور القصير، الذي ينبغي أن يُحسبَ رفيقاً للمزمور ١٢٨، هو المزمور الوحيد الذي كتبه سليمان. قد نتوقع أن يكون مزمور سليمان عن البناء، لأن سليمان كان بناءً عظيماً. فسليمان لم يبن فقط الهيكل، الذي سمي على اسمه، بل بنى أيضاً مذنأً وحدائق عامّة، وبنى أساطيل سفن وبنى إسطبلات للمئات من خيله. رغم ذلك، يُخبرنا سليمان أنه من الممكن أن يبني الإنسان باطلاً: "إن لم يبن الرب البيت، فباطلاً يتعب البنؤون." (١) ما يقوله سليمان في هذا المزمور هو أنه من الممكن أن نتعب ونجتهد ونبني، ولكن باطلاً، لأنه من الممكن أن نهتمّ ونجتهد لبناء الشيء الخطأ.

إن مزمور سليمان هذا هو أشبه بكلمات حكمة سليمان الأخيرة في سفر الجامعة، والتي فيها وعظ بهذا المقدار عمّا فعله في حياته باطلاً وبدون جدوى. وعندما ينتقل من إستعارة البناء إلى الإستعارة الجميلة عن الأولاد، يقول للأهل أن أكثر الأمور أهميّة التي بإمكانهم أن يعملوها، هو عندما يبنون حياة أولادهم. فلربما كان سليمان يقول لنا أنه يتمنى لو أنه قضى وقته وهو يبني حياة أولاده بدل أن يُشيد الأبنية التي اشتهر بها.

يقول سليمان: "كسهم بيد جبار، هكذا أبناء الشبيبة." (٤) السهم في هذه الإستعارة هي أولادكم، وأنتم القوس. إن الرّخم والوجهة التي ينطلق بها أبناؤكم نحو هذا العالم تتحدّد من قبل القوس الذي يُطلقها إلى هذا العالم. هذا القوس هو منزل الأهل.

الحقيقة الكبرى في المزمور ١٢٧ توجد في الجملة الافتتاحية: "إن لم يبن الرب البيت فباطلاً يتعب البنؤون." هناك أشياء لا يستطيع أحد أن يعملها إلا الله وحده. الله وحده يقدر أن يخلق حياة جديدة في قلب أولادك. فالإيمان هو فقط عطية من الله. فبمعنى ما، الله لا يستطيع أن يبني حياة ولدك، إلى أن تدعه يعمل ذلك. وهذه الحقيقة مغلفة في إستعارة جميلة. فسليمان يقول أن الله "يعطي حبيبه نوماً." فطالما نحن مُتقيظون، لا يستطيع الله أن يضع الطاقة في أجسادنا. ولكن عندما نصبح سلبين ونخلد للنوم، يصبح الله فاعلاً ويضع حياة جديدة في أجسادنا. طيق هذه الإستعارة على مسؤولياتك وتحدياتك كوالد لأولادك.

ماذا يعني هذا؟

من الممكن أن نغرق في الهُوم، وأن نتعب وأن نبني باطلاً وبدون جدوى، لأننا لدينا الأولويات المغلوطة. هذا المزمور يتحدّثنا ويحضنا على أن نضع كلّ جهودنا في حياة أولادنا، لأنه من خلال خلية العائلة يُؤثر الله على العالم. علينا أن نُكرس ذواتنا إلى هذه الأولويات، لأن الشّرير يعرف أن الله يستخدم خلية العائلة ليؤثر على العالم. إن عدوى تفسخ الزواج وإنهيار العائلة الذي يشهده مجتمعنا اليوم، يُعبر عن الحقيقة المأساوية أن الشيطان مصمّم على تخريب عمل الله الحيويّ هذا، من خلال قطع وتر قوس العائلة.

فهل الكلُّ مباركٌ؟ ليس بحسبِ ما تعلَّمنا من مزمور الرَّجُلِ المُبارَكِ. فقط الإنسانُ المؤمنُ و الطَّائِعُ هُوَ المُبارَكُ، وبركاته تُؤثِّرُ على العالمِ من خلالِ أولاده. فهل أنتَ هذا الرَّجُلُ أو هل أنتِ هذه المرأة؟ تأمِّلِ بشروطِ الإنسانِ المُبارَكِ و ببركاته، ثمَّ أجبِ على هذا السُّؤالِ:
"إنسانانِ جالسانِ على المقعدِ؛ أيُّ منهما هُوَ أنتَ؟"

المزمورُ الرَّابِعُ

حُلُولٌ لِلضَّغَطِ

بعدَ أن تأمَّلنا بَعضَ مزاميرِ الرَّجُلِ المُبارَكِ، أصبحنا جاهزينَ لتأمَّلَ بَعضَ المزاميرِ التي أُسمِّيها المزاميرِ العاطفيَّةِ. هذه المزاميرُ هي غالباً مزاميرُ صلاة، حيثُ يتكلَّمُ المُرْتَمِّمُ معَ اللهِ عن الإنسانِ – وهو يتكلَّمُ عادةً عن نفسه. أحدُ هذه المزاميرِ هُوَ المزمورُ الرَّابِعُ:

"عندَ دُعائي استجبْ لي يا إلهَ برِّي.

في الضيقِ رحَّبتَ لي.

ترأَّفَ عليَّ واسمَعْ صلاتي.

يا بني البَشَرِ حتَّى متى يكونُ مجدي عاراً.

حتَّى متى تُحبُّونَ الباطلَ وتبتغونَ الكذبَ.

فاعلموا أن الربَّ قد ميَّزَ تقيَّه.

الربُّ يسمَعُ عندما أدعوه.

ارتعدوا ولا تُخطئوا.

تكلموا في قلوبكم على مضاجعكم واسكثوا.

اذبحوا ذبائحَ البرِّ

وتوكلوا على الربِّ.

كثيرون يقولون من يُرينا خيراً.

ارْفَعْ عَلَيْنَا نُورَ وَجْهِكَ يَا رَبُّ.
 جَعَلْتَ سُوراً فِي قَلْبِي
 أَعْظَمَ مِنْ سُورِهِمْ
 إِذْ كَثُرَتْ حِنَطَتُهُمْ وَخَمَرُهُمْ.
 بِسَلَامَةٍ أَضْطَجَعُ بَلْ أَيْضاً أَنَامُ.
 لِأَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبُّ فِي طُمَأْنِينَةٍ تُسَكِّنُنِي."

كيف ينبغي أن نتجاوب مع الضَّغْطِ؟

إن الحالة العاطفية لكاتب المزمور الرابع هي حالة تعيسة. في هذا المزمور، يُعالج المرثم مشكلة الضَّغْطِ. فالعالم المضغوط الذي نعيش فيه اليوم، تمَّ وصفه بأنه "عالم القلق". يُرينا هذا المزمور كيف نتعايش مع الضَّغْطِ الذي نواجهه يومياً.

صلاة

في المزمور ٤، تجاوب داود مع الضُّغُوطِ العاطفِيَّةِ من خلالِ الصَّلَاةِ. فَصَلَّى قَائِلاً: "عند دُعائي استجب لي يا إله برِّي." (١) فالصلاة هي مُحَادَثَةٌ مع الله. والمُحَادَثَةُ لها بُعدان – التَّكَلُّمُ والإِسْتِمَاعُ. فالله يُريدُكَ أن تتكلمَ معه، ولكنه يُريدُ هُوَ أيضاً أن يتكلمَ إليك. في مُعْظَمِ مزامير الصَّلَاةِ، نرى أولاً المرثم يتكلم مع الله، ومن ثمَّ نسمعُ الله يُجيبُهُ. فالمرثم يتضرعُ إلى الله، ثمَّ ينالُ تأكيداً أنَّ الله سَمِعَ صَلَاتَهُ، لأنَّهُ يَسْتَجِيبُ صَلَاتَهُ.

بدأ داود هذه الصَّلَاةِ بإخباره الله عن مَصْدَرِ تعاسته وضيقة. (٢) فأجاب الله بإعطائه داود إعلاناً: "فاعلموا أن الربَّ قد ميَّزَ تقيَّه. الربُّ يسمعُ عندما أدعوهُ. ارتعدوا ولا تُخطئوا." (٣، ٤) في أيِّ وقتٍ تُستجابُ صَلَاتُكَ، لا ينبغي أن تبقى كما أنت عليه. فكّر بما تعنيه الصلاة المُسْتَجَابَةُ. فهي تعني أن الله مُهْتَمٌّ بنا، وهو يسمع، ويستجيب صلواتنا عندما نتحدث معه. وسرعان ما نختبرُ إِسْتِجَابَةَ صَلَاةِ، لا تبقى الحياة بالنسبة لنا كما كانت عليه سابقاً.

إِمْتَحِنُ قَلْبِكَ

عِنْدَمَا تَكَلَّمَ اللَّهُ مَعَ دَاوُدَ، أَخْبَرَهُ أَنْ يِعْمَلَ شَيْئاً، "تَكَلَّمُوا فِي قُلُوبِكُمْ عَلَى مَضَاجِعِكُمْ وَاسْكُنُوا." (٤ب) عِنْدَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ دَاوُدَ بِأَنْ يَسْكُتَ أَمَامَ الرَّبِّ، كَانَ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُصْغِيَ إِلَيْهِ. بِمَعْنَى مَا، عِنْدَمَا قَالَ الرَّبُّ لِدَاوُدَ أَنْ يَتَأَمَّلَ فِي قَلْبِهِ عَلَى مَضْجَعِهِ، كَانَ يَقُولُ لِدَاوُدَ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعَ نَفْسِهِ. لَقَدْ أَرَادَ الرَّبُّ أَنْ يِمْتَحِنَ دَاوُدَ قَلْبَهُ أَوْ أَنْ يَجْتَمَعَ مَعَ نَفْسِهِ.

إِعْمَلِ الشَّيْءَ الصَّحِيحَ

بَيْنَمَا كَانَ دَاوُدَ يِمْتَحِنُ قَلْبَهُ، أَظْهَرَ لَهُ اللَّهُ مَاذَا يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ حِيَالَ ضَيْقِهِ أَوْ قَلْقِهِ. فَلَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ دَاوُدَ أَنْ يَعْرِفَ أَنْ وَاجِبُهُ هُوَ: "إِذْبَحُوا ذَبَائِحَ الْبِرِّ وَتَوَكَّلُوا عَلَى الرَّبِّ." (٥) لِمَاذَا إِحْتَاجُ أَنْ يِعْمَلَ هَذَا؟ لِأَنَّ كَثِيرِينَ كَانُوا يُرَاقِبُونَ وَيَسْأَلُونَ، "مَنْ يُرِينَا خَيْراً؟" (٦ أ) فَلَقَدْ كَانَ النَّاسُ يُرَاقِبُونَ دَاوُدَ. وَكَانُوا يَتَعَلَّمُونَ عَنِ اللَّهِ مِنْ مِثَالِ دَاوُدَ.

بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَفْتَرِضَ أَنَّ دَاوُدَ كَانَ يُوَاجِهُ قَرَاراً تَطَلَّبَ خِيَاراً. فَكَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يِعْمَلَ مَصْلَحَتَهُ وَيَعِيشَ. أَوْ كَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يِعْمَلَ الصَّوَابَ. فَإِذَا عَمِلَ الصَّوَابَ، ظَنَّ أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ تَحْمُلَ ضَغْطِ أَرْمَتِهِ. فَبِمَا أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا صَادِقًا، لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَعِيشَ مَعَ ذَنْبِ عَمَلٍ مَا هُوَ لِمَصْلَحَتِهِ. فَعِنْدَمَا قَامَ بِهَذِهِ الْمُحَادَثَةِ مَعَ اللَّهِ، عَقَدَ الْعَزَمَ عَلَى أَنْ يُقَدِّمَ آيَةً تَضْحِيَاتٍ كَانَتْ يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِ تَقْدِيمُهَا لِيَعْمَلَ الصَّوَابَ. لَقَدْ عَرَفَ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يُفْتَشِّشُونَ عَنْ شَيْءٍ جَيِّدٍ، أَيَّ عَنِ شَخْصٍ يِعْمَلُ الصَّوَابَ، حَتَّى وَلَوْ تَطَلَّبَ الْأَمْرُ تَضْحِيَاتٍ كَبِيرَةً.

عِنْدَمَا قَرَّرَ دَاوُدَ أَنَّهُ سَيُقَدِّمُ تَضْحِيَاتٍ كَبِيرَةً مِنَ الْبِرِّ، إِخْتَبَرَ تَغْيِيراً عَاطِفِيًّا. قَالَ، "جَعَلْتَ سُرُوراً فِي قَلْبِي أَعْظَمَ مِنْ سُرُورِهِمْ... بِسَلَامَةٍ أَضْطَجِعُ بَلْ أَيْضاً أَنَا، لِأَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبُّ فِي طُمَأْنِينَةٍ تُسَكِّنُنِي." (مزمور ٤: ٧ أ و ٨).

إِذَا وَجَدْتَ تَفْسَاكَ وَحَالَاتِكَ الْعَاطِفِيَّةَ الْمُضْطَّرِبَةَ فِي ضَيْقِ دَاوُدَ، تَأَمَّلْ فِي قَلْبِكَ وَتَحَادَثْ مَعَ اللَّهِ. فَإِذَا أَمَكْنَ رَدُّ قَلْقِكَ إِلَى صِرَاعِ رُوجِيِّ حَوْلَ مَا هُوَ لِمَصْلَحَتِكَ وَمَا هُوَ الصَّوَابَ، قَرَّرْ فِي قَلْبِكَ أَنْ تُقَدِّمَ تَضْحِيَاتِ الْبِرِّ، وَأَنْ تَضَعُ نَفْسَكَ فِي اللَّهِ. بَرَهْنِ أَنَّ حَلَّ دَاوُدَ لِلضَّغْطِ وَالْقَلْقِ يُمَكِّنُ أَنْ يُعَيِّرَ عَوَاطِفَكَ تَجَاهَ التَّشْنُجِ الْأَدْبِيِّ، وَتَجَاهَ عَدَمِ الْإِسْتِقْرَارِ وَالتَّعَبِ وَالخَوْفِ، وَيُحَوِّلَهَا إِلَى جَوْ عَاطِفِيٍّ تَسُودُهُ الرَّاحَةُ الَّتِي تَنْبُعُ مِنَ النِّقَّةِ، السَّلَامِ، وَالنُّومِ الْهَنِيِّ.

المزمور المئة والتاسع والثلاثون

المُشِيرُ القَدِيرُ

"إختبرني يا الله، واعرف قلبي. إمتحني واعرف أفكارِي. وانظر إن كان فيَّ طريقٌ باطلٌ واهدني طريقاً أديباً." (مزمور ١٣٩: ٢٣، ٢٤)

مثالٌ آخر عن مزمور الصلاة، حيث يتكلم المرثم الموحى مع الله عن الإنسان، هو مزمور الصلاة المئة والتاسع والثلاثون. في هذا المزمور، نجد الله بأنه المرشد القدير. عندما كلم الله شاول من خلال صموئيل أنه وجد بديلاً له ليحل محل الملك الأول لإسرائيل، وصف الله داود بأنه رجلٌ بحسب قلب الله، الذي يعمل مشيئته. وبما أن داود أراد أن يسلك في مشيئة الله في حياته، صلى هذه الصلاة الجميلة لله. جوهر هذه الصلاة نراه يُصلى في العديدين الأخيرين. فإذا قسمنا باقي المزمور إلى مقاطع، كل مقطع سيرينا من هو الله الذي صلى له داود هذه الصلاة – ولماذا وجّه داود صلاته لهذا الإله. عندما صلى داود هذه الصلاة، كان يوجد الكثير من الآلهة والأصنام التي كانت تُوجّه الصلاة لها.

في المقطع الأول، يُخبرنا داود أنه يُصلي لإله يعرفه. فمعرفة الله بـداود غير محدودة. صلى داود قائلاً: "يا رب قد إختبرتني وعرفتني." (١) قد تقول أنك تعرف شخصاً مشهوراً، لربما قائداً سياسياً في بلدك. ولكن، ألن يكون الأمر ذا تأثير أقوى لو قال رجل السياسة هذا في العلن أنه هو الذي يعرفك شخصياً؟ لقد أعجب داود بالحقيقة المجيدة أن الله رب الكون يعرفه شخصياً.

عندما تذهب لاستشارة مُحلل نفسي، سوف يكون هذا المحلل محدوداً بمقدار المعرفة عن نفسك الذي تكشفه له، ومقدار انفتاحك له وإخبارك إياه عن نفسك. هذه الأمور سوف تحدّه مهما كان بارِعاً. أما الله فهو يعرف تاريخك الإجتماعي بشكل كامل لأنه الإله الذي يعرفك بالتمام. يقول داود، "يا الله، أنت عرفت جلوسي وقيامي. فهمت فكري من بعيد. مسلكي ومربضي ذريت وكل طريقي عرفت." (مزمور ١٣٩: ٣ب).

المقطع الثاني في هذا المزمور (٦-١٢) يُخبرنا أن داود يُصلي إلى الله الذي لن يستطيع أن يهرب منه أبداً. صلى داود قائلاً: "أين أذهب من روجك ومن وجهك أين أهرب؟" فبإية سرعة عليك أن تُسافر لكي تهرب من وجه الله؟ وإلى أي مكان بعيد بإمكانك أن تهرب؟ وإلى أي مرتفع أو هاوية تستطيع أن تسمو أو تنخفض، لكي تهرب من وجه الله؟ يُوجّه داود هذه الصلاة للإله الموجود في كل مكان، والذي لا مفر منه.

يُظهر المقطع الثالث (١٣-١٦) أن داود يُصلي لله الذي خلقه. لقد خاطب داود الله قائلاً، "لأنك أنت إقتنيت كليتي، نسجتني في بطن أمي... رأت عينك أعضائي وفي سفرك

كُلُّهَا كُتِبَتْ يَوْمَ تَصَوَّرْتَ إِذْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهَا. " (مزمور ١٣٩: ١٣، ١٦). فقبل أن نُوجَدَ، خَطَّطَ اللَّهُ لِكُلِّ أَيَّامِنَا فِي سِفْرِ. فَكَّرَ بِذَلِكَ بَيْنَمَا تُحَطِّطُ لِأَيَّامِكَ، أُسَابِيعِكَ، وَشُهُورِكَ عَلَى مُفَكَّرَتِكَ السَّنَوِيَّةِ. هَذَا يَعْنِي أَيْضاً أَنَّهُ لَا يُوجَدُ مَا يُسَمَّى بِالْمُصَادَفَةِ الْبَشَرِيَّةِ. فَنَحْنُ جَمِيعاً نُوجَدُ بِمُوجِبِ خُطَّةِ الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ. فَكَّرَ بِذَلِكَ بَيْنَمَا يُحَطِّطُ النَّاسُ لِلْإِجْهَاضِ.

مقطع رابع (١٧، ١٨)، يُظْهِرُ أَنَّ دَاوُدَ يُوجِّهُ صَلَاتَهُ إِلَى اللَّهِ الَّذِي يُفَكِّرُ بِهِ. نَتَعَلَّمُ مِنْ دَاوُدَ أَنَّ أَفْكَارَ اللَّهِ مِنْ جِهَتِنَا هِيَ عَزِيزَةٌ جَدًّا وَلَا عَدَّ وَلَا حَصَرَ لَهَا (١٧). أَحَدُ أَكْثَرِ التَّعْبِيرِ الْحَمِيمَةِ الْمُؤَثِّرَةِ هِيَ أَنْ نَقُولَ لِمَنْ نُحِبُّ أَنَّنَا نُفَكِّرُ بِهِ دَائِماً. فَاللَّهُ يُفَكِّرُ بِنَا أَكْثَرَ مِمَّا نُفَكِّرُ بِنُفُوسِنَا.

وأخيراً، يُوجِّهُ دَاوُدَ صَلَاتَهُ إِلَى اللَّهِ الَّذِي يَحْمِيهِ (١٩ - ٢٢). فَهُوَ يَسْأَلُ اللَّهَ فِي هَذَا الْإِطَارِ أَنْ يَقْضِيَ عَلَى أَعْدَائِهِ. وَهُوَ يُصَلِّي صَلَاتَهُ طَالِباً الْحَمَايَةَ بِنِقَّةٍ عَظِيمَةٍ أَنَّ اللَّهَ سَيُسَاعِدُهُ عَلَى الْقَضَاءِ عَلَى أَعْدَائِهِ.

بعدَ تفصيلِ هذه الصِّفَةِ عَنِ اللَّهِ الَّذِي صَلَّى لَهُ دَاوُدَ، يُصَلِّي دَاوُدَ جَوْهَرَ صَلَاتِهِ عِنْدَمَا يَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ أَنْ "يَخْتَبِرَهُ وَيَعْرِفَهُ وَيَنْظُرَ إِنْ كَانَ فِيهِ طَرِيقٌ بَاطِلٌ شَرِيرٌ" (٢٣، ٢٤). لَقَدْ قَدَّمَ دَاوُدَ هَذَا الطَّلَبَ مِنَ اللَّهِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْرُبَ مِنْهُ، وَمَنْ اللَّهُ الَّذِي يَعْرِفُهُ، وَالَّذِي صَنَعَهُ وَيُفَكِّرُ بِهِ وَسَيَحْمِيهِ.

هَذَا هُوَ الْإِلَهُ الَّذِي نُوجِّهُ لَهُ كُلَّ صَلَوَاتِنَا. عِنْدَمَا لَا تَكُونُ مُتَأَكِّدًا حِيَالَ دَوَافِعِ قَلْبِكَ، وَلَكِنَّا نُرِيدُ أَنْ تَسْلُكَ فِي الطَّرِيقِ الْأَبَدِيِّ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ لِحَيَاتِكَ، إِقْتَرَبْ مِنْ عَرْشِ الْمُسْتَشِيرِ الْقَدِيرِ الَّذِي صَلَّى دَاوُدَ لَهُ. أَطْلُبْ مِنْهُ أَنْ يَنْزِعَ السِّدَّةَ أَوْ الْغِطَاءَ عَنِ قَلْبِكَ، وَأَنْ يُرِيكَ الدَّوَافِعَ الَّتِي لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مَوْجُودَةً فِي قَلْبِكَ. أَطْلُبْ مِنْهُ أَنْ يَنْزِعَ السِّدَّةَ عَنِ ذَهْنِكَ، وَأَنْ يُظْهِرَ لَكَ الْأَفْكَارَ الَّتِي لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مَوْجُودَةً فِيهِ، لِأَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَسْلُكَ فِي الطَّرِيقِ الْأَبَدِيِّ بِحَسَبِ إِرَادَةِ اللَّهِ لِحَيَاتِكَ.

الْمَزْمُورُ الْمِئَةَ

"اهْتَفِي لِلرَّبِّ يَا كُلَّ الْأَرْضِ.

اعْبُدُوا الرَّبَّ بِفَرْحٍ.

ادْخُلُوا إِلَى حَضْرَتِهِ بِتَرْنُمٍ.

اعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ هُوَ اللَّهُ.

هو صنعنا وله نحن
شعبه وغنم مرعاه.
ادخلوا ابوابه بحمد
دياره بالتسبيح
احمدوه باركوا اسمه.
لان الرب صالح.
إلى الأبد رحمته
وإلى دور فدور أمانته."

المزمور المئة هو مزمور العبادة بدون منازع. فهو يخبرنا عما هي العبادة. العبادة هي المجيء إلى حضرة الله. فهناك ما يسمى بحضور الله، والمجيء إلى محضر الله هو جوهر العبادة. وكمزمور العبادة النموذجي، لا يُفسر لنا داود في المزمور ١٠٠ ماهية العبادة فقط، بل وأيضاً كيفية العبادة.

ففي زمن العهد القديم، كانت توجد أصول في البروتوكول ينبغي إتباعها، إذا أردت مقابلة الملك. فأول أمر عمله، كان أن تدخل عبر الأبواب الكبيرة التي تصل بك إلى قصر الملك. وإن كان الملك الذي ستقابلُه عظيماً، فسوف تمر عبر ممرات طويلة متتالية، ثم تمر عبر صف طويل من الجنود على الجانبين. وسوف تصل إلى بوابات متعاقبة، فتظن أنها ستؤدي بك إلى حضرة الملك، ولكنها ستقودك إلى ممر طويل آخر. وأخيراً، سوف تجد بابين كبيرين مغلقين بالذهب أو الفضة، يؤديان بك إلى حضرة الملك. وهكذا إلى أن تكون قد وصلت إلى حضرة الملك، تكون قد كوّنت انطباعاتاً عن أهميته.

بما أن داود كان ملكاً، كان هذا البروتوكول مألوفاً لديه. فلقد اختار هذا البروتوكول كصورة مجازية لإيضاح تعريفه للعبادة، وكيف ينبغي أن نعبد. فبالنسبة لداود، العبادة هي أن ندخل إلى حضرة الله.

إن مجيئك إلى حضرة الله ينبغي أن يبدأ "بأبواب الحمد." (٤أ) هذا يعني أنه عليك أن تبدأ عبادتك بشكر الله على بركاته. فالثكر يؤد العبادة. والقلب الشاكر هو "الباب" الذي يصل بنا إلى محضر الله.

يُخبرنا داود في هذه الصورة المجازية أن أبواب الحمد تقود إلى ديار التسبيح. (٤ب) فعندما نبدأ إختيارنا بالعبادة مع التسبيح، سرعان ما نجد نفوسنا تُسبحُ الله. ثم ننتقل من شكر الله على بركاته الكثيرة، إلى التحدث مع الله وتسيحه بسبب كونه من هو. وبينما نجتاز وسط "أبواب الحمد"، نركز على يد الله التي نأخذ منها الكثير. ولكن سرعان ما ندخل إلى ديار التسبيح حتى يتحول تركيزنا على وجه الله.

لقرّون طويلاً، ردّد أبطال الإيمان أن الباب الذي يقود إلى محضر الله هو باب التسبيح. ولكي نتابع الصورة المجازية الموحاة التي استخدمها داود، فإن الباب الذي يؤدي مباشرة إلى محضر الملك هو باب الترنيم. فكتب داود يقول: "ادخلوا إلى حضرتي بترنيم." (٢ب) فداود هو الذي دمج الموسيقى مع العبادة. فلقد كان لداود فرقة موسيقية وجوقة مؤلفة من أربعة آلاف لاهوتي، الذين لم يفعلوا شيئاً آخر غير التدرّب على الترنيم والعزف على آلاتهم الموسيقية التي صنعها داود لهذا الغرض (١ أخبار الأيام ٢٣: ٥).

هناك أوقات في حياتنا نحتاج فيها أن نُعبّر عن أشياء لا يُعبّر عنها. لهذا يُعطي المُتحدثون لبعضيهما أسماء أو ألقاب رقيقة قد يُحرجون أو يحمرون حجاباً إذا ذكروها فيما بعد. ذلك لأنهما يحاولان من خلال هذه الألقاب أن يُعبّرا عن حُبهما الذي لا يُعبّر عنه لبعضيهما البعض. وهذه الحاجة للتعبير عما لا يُعبّر عنه تظهر في أعلى صورها عندما نكون في محضر الله. فلقد أعطانا الله معجزة الموسيقى لنعبر عن عبادتنا التي لا يُعبّر عنها بالكلام في محضر الله. فبالنسبة لداود، الموسيقى هي التي تفتح أمامنا الباب إلى محضر الله.

عندما ندخل إلى محضر الله، بإمكاننا أن نعرف بالاختبار أموراً لم نعرفها مسبقاً إلا عقلياً. أولاً، نعرف بشكلٍ مُطلق أنه الله. فعندما نعبد، نعرّف بأن الرب هو الله، وأننا نحن غنم مرعاه. (٣) قد يكون هذا ما قصده بولس عندما كتب أنه "لا يستطيع أحد أن يقول أن يسوع ربّ إلا بالروح القدس." (١ كورنثوس ١٢: ٣).

ثم نعرف إختيارياً أن "الربّ صالح." فنحن غالباً ما نقاوم تسليم نفوسنا كلياً لله، وبدل أن نعرّف قائلين، "الربّ صالح،" نقول من خلال أعمالنا، "الربّ مُرعب." يقول هذا المزمور أننا في محضر الله، لا نعرف فقط أن الربّ هو الله، بل ونعرف أيضاً أن "الربّ صالح." (١٥) فإرادة الله لنا هي إرادة صالحة، لأنه هو نفسه صالح.

وفي محضر الله، نعرف أيضاً أن الله يريد أن يعرف كل الناس في كل الأجيال وفي كل الأرض أن الله صالح، وأن يأتوا بدورهم إلى محضره، ليُعرفوا ما نعرفه نحن. "يا كل الأرض،" هكذا ينتهي العدد الأول من المزمور. والكلمتان الأخيرتان في العدد الأخير من هذا المزمور هما "دور فدور، أو كل الأجيال." هذا يعني أنه في كل جيل وفي كل الأرض، يريد الله أن يعرف الجميع ماذا يعني أن نعبد في حضرتي. إن أعظم المرسلين

في تاريخ الكنيسة، وأعظم رجالات الله في الكتاب المقدس، كانوا جميعاً عابدين لله
بَدْخُولِهِمْ إِلَى محَضْرِهِ، قَبْلَ أَنْ يُصْبِحُوا عَامِلِينَ لِلَّهِ بِخُرُوجِهِمْ لِأَجْلِهِ.

نَمُودَجُ إِيْتِبَارِ الْعِبَادَةِ هَذَا يُعَبَّرُ عَنْهُ فِي الْعَدَدِ الثَّانِي مِنْ هَذِهِ الْمَزْمُورِ، الَّذِي يَحْتُنُّ،
"بأن نخدم الرب بفرح." فَعِنْدَمَا نَعْبُدُ اللَّهَ بِحَقِّ، نَخْدُمُهُ بِفَرَحٍ، وَلَيْسَ لَكُونِ خِدْمَتِهِ وَاجِباً
عَلَيْنَا. إن المزمور ١٠٠، مَزْمُورَ الْعِبَادَةِ، يُخْبِرُنَا عَنْ ماهية العبادة، كيفية العبادة، وماذا
ينبغي أن يحدث عندما نعبد، وماذا ينبغي أن تكون نتائج العبادة.

المزمور الرابع والثلاثون

وصفة للفشل

إن المزمور ٣٤ هو واحد من مزامير الصلاة العاطفية، رُغِمَ أَنْ هُنَاكَ الكثير من
العبادة والوعظ في هذا المزمور. تُوضِحُ الْكِتَابَةُ الْمَوْجُودَةُ فِي بَدَايَةِ الْمَزْمُورِ الرَّابِعِ
وَالثَّلَاثِينَ خَلْفِيَّتَهُ التَّارِيخِيَّةَ. فَهُوَ يُمَثِّلُ مَرَحَلَةً قَاتِمَةً مُظْلِمَةً مِنْ تَارِيخِ حَيَاةِ دَاوُدَ، عِنْدَمَا كَانَ
هَارِباً مِنْ وَجْهِ الْمَلِكِ شَاوُلَ. نَجِدُ وَصْفاً لِهَذِهِ الْمَرَحَلَةِ الْمُظْلِمَةِ فِي حَيَاةِ دَاوُدَ فِي صَمُوئِيلِ
الْأَوَّلِ الْإِصْحَاحِينَ ٢١ وَ ٢٢. عِنْدَمَا هَرَبَ دَاوُدَ مِنْ شَاوُلَ، وَأَصْبَحَ عَدُوَّهُ الْأَوَّلَ، قَامَ دَاوُدُ
بِهَدَفِ حِمَايَةِ نَفْسِهِ وَالْحَفَاطِ عَلَى بَقَائِهِ بِالتَّحَالُفِ مَعَ مَلِكِ الْفِلَسْطِينِيِّينَ. وَعِنْدَمَا فَشِلَ هَذَا
التَّحَالُفِ بِدَوْرِهِ، أَصْبَحَ دَاوُدُ هَارِباً، وَعَاشَ فِي الْكُهُوفِ وَالْبَرَارِي. ثُمَّ نَقَرَأُ بَعْدَهَا أَنَّهُ قَدْ
إِنْضَمَّ إِلَى دَاوُدَ فِي الْبَرِّيَّةِ كُلُّ مَرِّ النَّفْسِ، وَكُلُّ مَدْيُونٍ وَمُنْتَضَائِقٍ (١ صَمُوئِيلِ ٢٢: ٢) أَنْ
تَكُونُ مَدْيُوناً فِي الْحَضَارَاتِ الْقَدِيمَةِ كَانَ يَعْنِي أَنْ تَكُونَ تَحْتَ خَطْرِ السِّجْنِ، كَمَا نَجِدُ ذَلِكَ
مَوْضِحاً فِي مَثَلِ يَسُوعَ فِي الْإِصْحَاحِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ إِنْجِيلِ مَتَّى. مَنْ الْمُرَبِّكُ أَنْ نُدْرِكَ أَنَّ
هَذَا كَانَ لِقَاءَ دَاوُدَ الْأَوَّلَ مَعَ الرِّجَالِ الَّذِي سَيُصْبِحُونَ لِأِحْقَاقٍ "أبطال داود."

المزمور ٣٤ هُوَ نَمُودَجٌ مُخْتَصِرٌ عَمَّا وَعَظَ بِهِ دَاوُدُ لِأَوْلَادِكَ الْهَارِبِينَ الْفَاشِلِينَ، الَّذِينَ
أَصْبَحُوا لِأِحْقَاقٍ أَبْطَالاً الْمَلِكِ دَاوُدَ، لِأَنَّهُ فَهَمُوا وَأَمْنُوا بِجَوْهَرٍ مَا وَعَظَهُمْ بِهِ. يُمَكِّنُ تَلْخِيصُ
وصفة داود للفشل بالقول، "ثلاثة أشخاص على المقعد أي منهم هو أنت؟"

الإنسان ذو الرجاء

الإنسان الذي يتمسك بالرجاء، يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ يُوجَدُ خَيْرٌ فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَبِأَنَّهُ سَوْفَ
يَكْتَشِفُ هَذَا الْخَيْرَ. اللَّهُ يَضَعُ رَجَاءً فِي قُلُوبِنَا، لِأَنَّ الرِّجَاءَ مُمَكِّنٌ أَنْ يَقُودَنَا إِلَى الْإِيمَانِ.
لهذا يبدأ إصحاح الإيمان في الكتاب المقدس بإخبارنا أن الإيمان يُعْطِي مَادَّةً لِلْأُمُورِ الَّتِي
نَتَرَجَّأُهَا، أَوْ "الْإِيمَانُ هُوَ التِّقَّةُ بِمَا يُرْجَى." فَالْإِيمَانُ هُوَ الَّذِي يَقُودُنَا إِلَى اللَّهِ.

في أميركا، يقوم ما بين ٢٥ ألفاً إلى ٣٠ ألفاً من الناس بالإقدام على الإنتحار سنوياً. عندما يدرُسُ المُحَلِّلون النفسيُّون والإجتماعيُّون حالات الإنتحار هذه ويتساءلون "لماذا إنتحروا؟" يتوصَّلون إلى النتيجة التالية: أحد الأسباب التي جعلتْهم يُقدِّمونَ على الإنتحار، هو لأنَّهم فقدوا الأملَ والرجاء. فعندما يفقدُ النَّاسُ الإقتناعَ بأنَّ خيراً سوف يُصيبُهُم، يُقدِّمونَ على الإنتحار.

فمن جهة، من المأساة أن نعرف مثلاً أنَّه فقط في الولايات المتحدة ما بين ٢٥ إلى ٣٠ ألف شخص سنوياً يفقدون الأملَ ويُقدِّمونَ على الإنتحار، ولكن من جهةٍ أخرى أليس مُعجزةً أن يتمسَّكَ بالرجاءِ والأملِ، حوالي ٢٥٠ مليون نسمة في هذا البلد نفسه؟ فنحنُ نتمتَّعُ بالأملِ والرجاءِ، لأنَّنا نُؤدُّ وهذا الرجاءُ مزروعاً في قلوبنا. إنَّ قَصَدَ اللهُ هُوَ أنَّ الرجاءَ الذي يزرعه في قلوبنا ينبغي أن يقودنا إلى الإيمان، وخُطَّةُ اللهِ هي أن إيماننا ينبغي أن يقودنا إلى علاقةٍ شخصيَّةٍ مع الرَّبِّ.

يُخبرنا الرسول بولس أن أعظم ثلاثة ميزات للحياة في هذا العالم هي الإيمان، الرجاء، والمحبة (١ كورنثوس ١٣: ١٣). فالرجاء هو أعظم هذه الميزات، لأنَّه لا يقودنا إلى شيءٍ يقودنا بدوره إلى الله. بل عندما نختيرُ نوعيَّةَ المحبة التي يصفها بولس الرسول، نكونُ قد وصلنا إلى ضالَّتينا المنشودة، أي إلى الإلتقاء بالله. فالكلماتُ المألوفةُ، "اللهُ محبةٌ"، تعني أنه تُوجدُ نوعيَّةٌ من المحبة التي اللهُ هُوَ نفسه إياها.

الإِنْسَانُ المَعْدُومُ الرَّجَاءِ (مزمور ٣٤: ١٦، ٢١)

هُنَاكَ ما يُسمَّى بالإِنْسَانِ المَعْدُومِ الرَّجَاءِ. فالإِنْسَانُ الذي يُحَاوِلُ أن يتَّخَذَ خُطواتٍ ضِدَّ اللهُ، هُوَ إِنْسَانٌ لا رَجَاءَ لَهُ. فَإِن كَانَ اللهُ مَعَكَ، فَمَنْ يَقْدِرُ أن يَكُونَ ضِدَّكَ؟ ولكن، إن كَانَ اللهُ ضِدَّكَ، فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أن يَكُونَ مَعَكَ؟ لقد كَانَ الرَّسُولُ بُولسُ يُوَافِقُ مَعَ مُعَلِّمِي النَّامُوسِ القِدَامِيِّ، أمثال غمائليل، عندما كتبَ قائلاً، "إِن كَانَ اللهُ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا؟" وعكس ذلك هُوَ صحيحٌ أيضاً، "إِن كَانَ اللهُ ضِدَّنَا، فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أن يَكُونَ مَعَنَا؟" (رؤمية ٨: ٣١؛ أعمال ٥: ٣٤-٤٠) الإِنْسَانُ الذي يَعْمَلُ ضِدَّ اللهُ يَتَحَرَّكُ بِإِتِّجَاهِ جَعْلِهِ مَعْدُومَةً الرَّجَاءِ. يُعَبِّرُ داوود عن هذه الحقيقة عندما يَقُولُ، "وَجْهَ الرَّبِّ ضِدَّ فاعلي الشَّرِّ... الشَّرُّ يُبِيدُ الأَشْرارَ." (مزمور ٣٤: ١٦، ٢١).

الإِنْسَانُ السَّعِيدُ (المُبَارَكُ) (مزمور ٣٤: ١٥، ١٧-٢٠، ٢٢)

الإِخْتِيَارُ والمُلاحَظَةُ يُرَكِّزان على سعادةٍ وَبَرَكةٍ الإِنْسَانِ البَارِّ، وعلى إنعدامِ سعادةٍ وإنعدامِ بَرَكةٍ الإِنْسَانِ الشَّرِّيرِ. هذه المُلاحَظَةُ تَصِحُّ بِشَكْلِ عام في هذه الحياة. إنَّ سَفَرَ أَيُّوبِ وأسفارٍ أُخرى كثيرة تُحَدِّثُنَا بالقول، "إِيَّاكَمُ أن تقولوا دائماً، وإِيَّاكُمْ أن تقولوا أبداً."

(أنظر: "ثلاثون سبباً لِسَمَاحِ اللَّهِ لِشَعْبِهِ بِأَنْ يَتَأَلَّمَ" الذي هُوَ بِمِثَابَةِ مَلاحَظَاتٍ إِضافِيَّةٍ على سِفرِ أَيُّوبِ في هَذا الكُتِيبِ). فِفي الحَالةِ الأَبَدِيَّةِ، سَتَكُونُ مَلاحَظَةُ داوُدَ حَقيقَةً دائِمةً (المَزْمُورُ ٧٣).

الحَدَثُ (مَزْمُورُ ٣٤: ٣-٨)

لقد أَخْبَرَ داوُدَ هُوَلاءِ الرِّجالِ التَّائِهِيْنَ وَالفاشِلِيْنَ عَن إِختبارِهِ الشَّخْصِيِّ، وَكَيْفَ إِنْتَقَلَ مِن حَالةِ الإِنسانِ المَعْدُومِ الرِّجاءِ، إِلى الإِنسانِ الَّذِي يَتَمَتَّعُ بِالرِّجاءِ، وَمِن تَمَّ بالسَّعَادَةِ. لَاحِظُوا هَذهَ التَّصْرِيحاتِ الشَّخْصِيَّةِ لِداوُدَ: "طَلَبْتُ الرَّبَّ... أَصَعَى إِليَّ... مِن كُلِّ مَخَوفِي أَنْقَذَنِي... هَذا المِسْكِينُ صَرَخَ... وَالرَّبُّ سَمِعَهُ، وَمِن كُلِّ ضَيْقاتِهِ أَنْقَذَهُ." هَذهِ هِيَ شَهادَةُ داوُدَ عَن إِختبارِهِ الشَّخْصِيِّ لِلتَّجديدِ.

وَصْفَةُ داوُدَ لِلْفِشَلِ

"ذُوقُوا وَانظُرُوا ما أَطيبَ الرَّبُّ،" تَمَّ إِكتِشافُ أَنَّ الإِنسانَ الَّذِي يُؤمِنُ بِاللَّهِ هُوَ إِنسانٌ مُبارِكٌ. (٨) وَمِن خِلالِ إِختبارِ شَخْصِيِّ لِلتَّجديدِ، إِكتِشافُ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الخَيْرُ الَّذِي كُنْتُمْ دائِماً تَرَجُونَ أَنَّ تَختَبِرُوهُ في هَذهِ الحَياةِ.

العَهدُ بَينَ داوُدَ وَرِجالِهِ الأَقوياءِ

"عَظِّمُوا الرَّبَّ مَعِي، وَلنُعَلِّ إِسمَهُ مَعاً." (٣) هَذا العَهدُ هُوَ وَصْفٌ جَميلٌ لِلْمُجتمَعِ الرُّوحيِّ. هَذا هُوَ نَوْعُ الوَعظِ الَّذِي أَنتِجَ أَبطالَ داوُدَ. لا تَنسُوا أبداً أَنَّ أَبطالَ داوُدَ كانوا هارِبِينَ وَفاشِلِينَ عَندما إِنقَاضَ داوُدَ. وَكانُوا أيضاً يَرزَحُونَ تَحْتَ الدُّيونِ وَالضَّيقاتِ.

تَجدُونَ أيضاً في أَبطالِ داوُدَ الحَقيقةَ الَّتِي تَمَّ إِيضاحُها في حَياةِ أَشخاصٍ مِثَلِ مُوسَى، وَكُلِّ الفُضاةِ، وَداوودِ نَفسِهِ. هَذهِ الحَقيقةُ هِيَ أَنَّ اللّهَ يُسَرُّ بِأَنْ يَعمَلَ أُموراً غَيرَ إِعتياديَّةٍ مِن خِلالِ أَشخاصٍ إِعتياديِّينَ. فَمَزْمُورٌ مِثَلِ المَزْمُورِ ٣٤، وَكُلُّ ظاهِرَةِ أَبطالِ داوُدَ تُعطي مَعنىً أواضِحاً لَما أُسمِيَهِ الأَسرارُ الرُّوحيَّةُ الأربَعَةُ:

لستُ أَنَا المُهمُّ، بل الرَّبُّ هُوَ المُهمُّ، وَهُوَ مَعِي.

أنا لا أَستطيعُ، وَلَكنَّ الرَّبَّ يَستطيعُ، وَهُوَ مَعِي.

أنا لا أريدُ، وَلَكنَّ اللّهَ يُريدُ، وَهُوَ مَعِي.

أنا لَم أَعمَلْ، بل اللّهُ هُوَ الَّذِي عمِلَ، لِأَنَّهُ كانَ مَعِي.

المزمور السادس والأربعون

"الله لنا ملجأ وقوة. عوناً في الضيقات وجد شديداً. لذلك لا نخشى ولو تزعزعت الأرض ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار. تعج وتجبش مياهها. تنزع زرع الجبال بطموها. ... نهر سواقيه تفرح مدينة الله مقدس مساكن العلي. الله في وسطها فلن تنزع. يعينها الله عند إقبال الصبح. عجت الأمم. تزعزعت الممالك. أعطى صوته ذابت الأرض. رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب. ... هلموا انظروا أعمال الله كيف جعل خرباً في الأرض. مسكن الحروب إلى أقصى الأرض. يكسر القوس ويقطع الرمح. المركبات يحرقها بالنار. كفوا واعلموا أنني أنا الله. أتعالى بين الأمم أتعالى في الأرض. رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب... كفوا واعلموا أنني أنا الله. أتعالى بين الأمم أتعالى في الأرض. رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب." (مزمور ٤٦: ١-٧، ١٠-١١)

بالنسبة لبني قورح، المرثمين الفدائي الذين كتبوا هذا المزمور، كان مفهوم إنقلاب الجبل إلى قلب البحر صورة مجازية غير معقولة. فقلب الرسالة التعبديّة التي قدمها هؤلاء الإخوة اللاويون كان أنه، عندما يتداعى عالمنا الشخصي، نحتاج أن نهذاً ونعرف أن الله جالس على العرش، وأن مشيئته لا تنزع. (١٠) لقد شاهد الناس حول العالم كيف إنهار البرجان التوأمين لمركز التجارة العالمي في الولايات المتحدة الأميركيّة، وذلك في لحظات معدودات. كان هذا مثلاً معاصراً عن صورة مجازية لا تعقل. كان هذا هو جبلنا الذي ينقلب إلى قلب البحار.

نحتاج أن نركّز على الحقيقة أنه في هذا العالم، توجد قيم زمنيّة مؤقتة، وتوجد قيم أبدية. إن الإستعارة التي إستخدمها كتاب المزامير الفدائي للتعبير عن مفهوم القيم الأبدية والزمنيّة الموجودة جنباً إلى جنب، هي بمثابة نهر متدفق عبر هذا العالم المادي المؤقت والداتي التدمير، وهذا النهر لا يمكن زحزحته ولا تدميره. فالله قائم في وسط هذا النهر، الذي يتدفق عبر هذا العالم، ويأتي بالفرح الكبير بينما يتدفق إلى مدينة الله الأبدية. قد يمثّل هذا النهر شعب الله، الذي لديه حياة أبدية لأن لديه علاقة مع إله الأبدية. فالرسول يوحنا، الذي كان قد صار شيخاً طاعناً في السن، وصف شعب الله بالطريقة التالية: "وأما الذي يصنع مشيئة الله، فيثبت إلى الأبد." (١ يوحنا ٢: ١٧).

فكون هذا النهر لا يمكن أن يتزعزع، يعني أنه قد يمثّل القيم الأبدية التي تتدفق عبر هذا العالم المادي الزائل. فهؤلاء المرثمون يقولون لنا أنه عندما يتداعى عالمنا حرفياً أو مجازياً، عندها نحتاج أن نكف ونتوقف لوقت طويل، وأن نركّز على حقيقة أن الله موجود، وأن كل ما له علاقة بالله فسيفي إلى الأبد.

نُخْبِرُ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ أَنَّنَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَ إِلَى اللَّهِ، وَلَا أَنْ نُرْضِيَ اللَّهَ، إِلَّا إِذَا أَمَّنَّا أَنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ (عبرانيين ١١: ٦). بِحَسَبِ هَذَا الْمَزْمُورِ الْعَظِيمِ، عِنْدَمَا يَتَدَاعَى عَالَمُنَا، وَبَعْدَ أَنْ نَكُونَ قَدْ أَكَّدْنَا حَقِيقَةَ أَنَّ اللَّهَ كَائِنٌ وَمَوْجُودٌ، فَحَنُّ نَحْتَاجُ أَيْضاً إِلَى نُسَكِّنَ أَنْفُسَنَا بِشَكْلِ كَافٍ، لَنَعْرِفَ مَا هِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ. فَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَعْظَّمَ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَمَجَّدَ عَلَى الْأَرْضِ. يُخْبِرُنَا الْمَزْمُورُ السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ أَنَّهُ فِي زَمَنِ الْإِضْطِرَابَاتِ، نَحْتَاجُ أَنْ نَهْدَأَ وَنَعْرِفَ أَنَّ اللَّهَ لَدَيْهِ إِرَادَةٌ وَاضِحَةٌ تَجَاهَ هَذَا الْعَالَمِ وَتَجَاهَ حَيَاتِنَا الشَّخْصِيَّةِ.

هَذَا الْمَزْمُورُ لَدَيْهِ الْمَزِيدُ مِنْ كَلِمَاتِ التَّعْزِيَةِ وَالنَّظَرَةِ الرُّوحِيَّةِ لَنَا، عِنْدَمَا يَكُونُ عَالَمُنَا الْحَقِيقِيُّ أَوْ الشَّخْصِيُّ ذَاتِي التَّدْمِيرِ. فَإِذَا تَفَحَّصْتُمْ بَعْضَ هَوَامِشِ التَّرْجُمَاتِ الْأُخْرَى، تَكْتَشِفُونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُرْتَمِينَ الْقَدَامَى كَانُوا يَقُولُونَ لَنَا أَنَّ إِلَهَنَا "مُتَوَقِّرٌ بِقِيضِ لَيْسَاعِدْنَا فِي ضَيْقَاتِنَا". فَعِنْدَمَا قَالُوا لَنَا أَنْ نَكْفُفْ وَنَعْلَمَ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ اللَّهُ، وَمَا هِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ، كَتَبُوا مَا مَعْنَاهُ: "إِسْتَرِيحُوا، كُفُّوا عَنِ الْمُقَاوَمَةِ، اسْتَلْسِمُوا وَاعْلَمُوا (بِوَسِطَةِ الْإِخْتِيَارِ وَالْعَلَاقَةِ)، أَنَّنِي كَائِنٌ، وَأَنْنِي تَمَاماً كَمَا تَقُولُ كَلِمَتِي عَنِّي. وَاعْلَمُوا أَيْضاً أَنَّنِي مَعَكُمْ فِي أَوْقَاتِ ضَيْقِكُمْ، وَأَنْ لَدَيَّ مَشِيئَةٌ حِيَالِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي بِهَا يَنْبَغِي أَنْ تَتَجَاوَبُوا مَعَ ظُرُوفِ حَيَاتِكُمْ الصَّاحِبَةِ."

عِنْدَمَا يُعَانِي شَعْبُ اللَّهِ مِنْ خَسَائِرٍ فِي مُمْتَلَكَاتِهِمِ الْمَادِّيَّةِ بِسَبَبِ الْكَوَارِثِ، مِثْلَ الزَّلَازِلِ، الطَّوْفَانَاتِ، النَّارِ، أَوْ بِسَبَبِ الْكَوَارِثِ الَّتِي يُحْدِثُهَا الْإِنْسَانُ كَالْحَرْبِ مِثْلاً، فَرُغَمَ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَيُّ خَيْرٍ فِي هَذِهِ الْكَوَارِثِ وَالْمَآسِي، فَاللَّهُ يَسْتَعِدُّ أحياناً هَذِهِ الْإِضْطِرَابَاتِ لِيُعَلِّمَ شَعْبَهُ الْفَرْقَ بَيْنَ كُنُوزِ السَّمَاءِ وَكُنُوزِ الْأَرْضِ. لَقَدْ عَلَّمَنَا يَسُوعُ أَنْ نَخْزِنَ لَنَا كُنُوزاً فِي السَّمَاءِ، لِأَنَّ كُنُوزَ الْأَرْضِ تَزُولُ وَيَسْرِقُهَا مِمَّا اللَّصُوصِ. (مَتَّى ٦: ١٩ - ٢١).

يُعْتَبَرُ هَذَا الْمَزْمُورُ أَيْضاً مَزْمُوراً نَبَوِيّاً، لِكَوْنِهِ يُقَدِّمُ بِطَرِيقَةٍ إِسْتِعَارَةٍ مَجَازِيَّةٍ مَا يُسَمِّيهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ "يَوْمَ الرَّبِّ". فَعِنْدَمَا يَتَنَبَّأُ الْأَنْبِيَاءُ بِحَدَثٍ مَا، يُقَدِّمُونَ أحياناً هَذَا الْحَدَثَ وَكَأَنَّهُ سَبَقَ وَأَخَذَ مَجْرَاهُ. هَذَا مَا يُسَمَّى "بِالْمَاضِي النَّبَوِيِّ الْكَامِلِ". إِنَّ كِتَابَ هَذَا الْمَزْمُورِ يُقَدِّمُونَ يَوْمَ الرَّبِّ وَكَأَنَّهُ قَدْ سَبَقَ وَحَدَّثَ، وَكَأَنَّهُمْ يَأْخُذُونَنَا فِي رِحْلَةٍ نَتَجَوَّلُ بِهَا فِي وَسْطِ الْأَرْضِ الْمَنْكُوبَةِ، بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي يَتَجَوَّلُ بِهَا الْحَاكِمُ أَوْ رَئِيسُ بَلَدٍ مَا فِي طَائِرَةِ فَوْقَ الْمَنَاطِقِ الْمَنْكُوبَةِ، لِيُقَدِّرَ الْأَضْرَارَ. فِي هَذَا الْإِطَارِ، يَتَمُّ تَكَرُّرُ الْأَعْدَادِ الْإِفْتِتَاحِيَّةِ وَالْخِتَامِيَّةِ، وَنُوضَعُ أَمَامَ التَّحْدِيِّ بِأَنْ نَكْفُفْ وَنَعْلَمَ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ اللَّهُ، وَأَنَّ مَشِيئَتَهُ ثَابِتَةٌ. (١٠، ١١). كُلُّ الْمَقَاتِعِ الْكِتَابِيَّةِ الَّتِي تُخْبِرُنَا عَنْ يَوْمِ الرَّبِّ، تُشَدِّدُ عَلَى التَّطْبِيقِ، "أَيُّ أَنْاسٍ يَجِبُ أَنْ نَكُونَ نَحْنُ، فِي سِيرَةِ مُقَدَّسَةٍ وَتَقْوَى، بِمَا أَنَّنَا رَأِينَا أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْمَادِّيَّةَ كُلَّهَا سَتَنْحَلُّ وَتَتَدَمَّرُ؟" (٢ بُطْرُسُ ٣: ١٠، ١١)

عِنْدَمَا إِنهَارَ بُرْجَا مَرْكَزِ التَّجَارَةِ الْعَالَمِيِّ فِي الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمِيرِكِيَّةِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى خَسَارَةِ آلَافِ النَّفُوسِ، تَمَّ تَدْمِيرُ رَمَزٍ يُشِيرُ إِلَى الْقِيَمِ الْعَالَمِيَّةِ الدُّنْيَوِيَّةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَلَايِينِ

مَنْ النَّاسِ. بِالطَّبَعِ اللَّهُ لَيْسَتْ لَهُ عِلَاقَةٌ بِالْإِرْهَابِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ أَيُّ شَيْءٍ صَالِحٍ فِي الْمَآسِي
الَّتِي يُعَانِي مِنْهَا الْأَبْرِيَاءُ عَلَى أَيْدِي الظَّالِمِينَ. وَلَكِنَّ اللَّهَ يَسْتَخْدِمُ أحياناً الكوارثَ كطريقةٍ
لإيقاظِ شَعْبِهِ مِنْ رُقَادِهِ، وَلِيَقُودَهُمْ إِلَى نِظَامِ قِيَمٍ رُوحِيَّةٍ وَأَبَدِيَّةٍ. هَذَا هُوَ جَوْهَرُ رِسَالَةِ هَذَا
الْمَزْمُورِ الْعَظِيمِ الَّذِي كُتِبَ عَلَى أَيْدِي بَنِي قُورَحِ.

الفصل الرابع

سِفْرُ الْأَمْثَالِ

عندما تقوم بمشاريع وأعمال، هناك شيان يمكن أن تربحهما – المال والخبرة. وعندما يقوم أهل هذا العالم بمشاريع وأعمال، أبناء العالم يربحون المال، وأبناء الله يكتسبون الخبرة. لقد أعطانا الله سفر الأمثال لكي لا نقضي حياتنا متعلمين كل شيء من خبرتنا الذاتية.

إن سفر الأمثال هو أكثر سفر عملي في الكتاب المقدس. كتب سليمان ثلاثة آلاف مثل (أملاك ٤: ٢٩-٣٤). وهو يُشارك معنا تقريباً ألفاً من أمثاله في هذا السفر الكتابي الموحى به من الله. وكان سليمان يُعتبرُ أحكم إنسان عاش على الأرض. في سفر الأمثال، قام هو وأكثر معاصريه بحكمة بإظهار كيفية العيش في جوانب حياتنا العملية.

ولقد كتب سليمان أكثر من ألف تشيد. في سفر الأمثال، نجد أقل من ألف من أمثاله، ونجد تشيداً واحداً من أناشيد موجداً في الكتاب المقدس، ألا وهو سفر تشيد الأنشاد. ولكن سليمان لم يكتب كل الأمثال الموجودة في سفر الأمثال. بل جمع حكماً كتبها حكماً غيره أيضاً، وقام حكماً آخرون بجمع بعض أمثال سليمان التي نجدها في هذا السفر.

الإصحاحات التسعة الأولى تُعبرُ بوضوح عن القصد من السفر، الذي هو تعليم الحكمة. نجد أمثال سليمان في الإصحاح ١: ١٠ والإصحاح ٢٢: ١٦. وأمثال الحكيم نجدها في أمثال ٢٢: ١٧-٢٤: ٣٤، وأمثال سليمان التي جمعها حكماً حزقيلاً، نجدها مجموعة في أمثال ٢٥-٢٩. يحتوي الإصحاح الثلاثون على أمثال أجور، ويحتوي الإصحاح ٣١ على أمثال الملك لموئيل، التي سمعها من أمه. الإصحاحات ١-١٠ كتبت للشبان؛ والإصحاح ١١-٢٠ كتبت للعامة؛ والإصحاحات ٢١-٣١ كتبت للحكام.

رغم أن سليمان كان معروفاً كأحكم رجل عاش على الأرض (أملاك ٤: ٣١)، ولكنه كان أيضاً أكبر فاشل عاش على الأرض. وكما أشرت في دراستنا للأسفار التاريخية، تُعتبر المملكة المنقسمة وحملات السبي المتتالية عواقب خطايا سليمان، بدل أن تكون عواقب خطية أبيه داود. فكيف يمكن لإنسان كان فاشلاً إلى هذا الحد، أن يعلم شعب الله كيف ينبغي أن يعيشوا؟

توجد بعض الأجوبة على هذا السؤال. إن حكمة هذه الأمثال لا تتعلق بما إذا كان كاتبها قد طبقها على حياته الشخصية؛ فهي تُقدّم حكمة موحى بها من الله. أيضاً هذه الأمثال، والمزمور ١٢٧، وسفر الجامعة، كتبت من قبل سليمان لتعليم الشبان أن لا يعملوا كما عمل

هُوَ. فَلَقَدْ تَعَلَّمَ سُلَيْمَانُ الْكَثِيرَ مِنْ خِلَالِ أَخْطَائِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُمَرَّرَ حِكْمَتَهُ الَّتِي كَلَّفَتْهُ الْكَثِيرَ لِيَتَعَلَّمَهَا، أَرَادَ أَنْ يُمَرَّرَهَا لِلآخَرِينَ، وَلَا سِيَّامًا لِلشُّبَّانِ.

بينما يُقَدِّمُ سُلَيْمَانُ الْقَصِدَ مِنْ كِتَابَةِ سَفَرِ الْأَمْثَالِ، كَتَبَ يَقُولُ مَا مَعْنَاهُ: "أُرِيدُكُمْ أَنْ تَتَعَلَّمُوا هَذِهِ الْحَقِيقَةَ الْعَظِيمَةَ: أَنَّ عَمَلَ الْخَيْرِ هُوَ أَكْثَرُ حَيَاةٍ تَتَحَلَّى بِالْحِكْمَةِ. ... لِهَذَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا الثِّمَارَ الْمُرَّةَ النَّاتِجَةَ عَنْ سُلُوكِكُمْ بِحَسَبِ مَا تَرْتَأُونَ، وَأَنْ تَخْتَنِرُوا أَهْوَالَ الطَّرِيقِ الَّتِي إِخْتَرْتُمُوهَا. ... لِأَنَّ مَخَافَةَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ هِيَ أُمُورٌ أُسَاسِيَّةٌ لِلْحِكْمَةِ. وَمَعْرِفَةُ اللَّهِ تَنْتِجُ كُلَّ أَنْوَاعِ الْفَهْمِ الْآخَرَى." (أَمْثَالُ ٤: ١١؛ ١: ٣١؛ ٩: ١٠)

بِطَرِيقَةٍ مَا، إِنَّ هَدَفَ إِرْسَالِيَّةِ سُلَيْمَانَ هُوَ مُلَخَّصٌ لِإِخْتِبَارِ حَيَاتِهِ. فَلَقَدْ عَرَفَ أَنَّهُ سَقَطَ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَنَا أَنْ نَعْرِفَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْحِكْمَةَ مِنْ خِلَالِ السُّقُوطِ وَعَوَاقِبِهِ. إِحْدَى أَكْثَرِ الطَّرِيقِ فَعَالِيَّةً لِلتَّعَلُّمِ، هِيَ بَأَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْ خِلَالِ رَدَاتِ الْفِعْلِ عَلَى الْعَوَاقِبِ الْوَحِيمَةِ لِخِيَارَاتِنَا الْعَبِيَّةِ وَالْخَاطِئَةِ. فَعِنْدَمَا نَخْتَنِرُ أَهْوَالَ الطَّرِيقِ الَّتِي نَخْتَارُهَا، نَدْفَعُ ثَمَنًا بَاهِظًا لِنَكْسِبَ الْحِكْمَةَ الثَّمِينَةَ، وَنَتَأَكَّدُ أَنَّ "حَيَاةَ السُّلُوكِ الْمُسْتَقِيمِ هِيَ الْأَكْثَرُ حِكْمَةً."

عِنْدَمَا يُخْبِرُنَا اللَّهُ عَنْ شَيْءٍ مَا أَنَّهُ صَحِيحٌ، يَقُولُ لَنَا ذَلِكَ لِأَنَّهُ يُجِبُّنَا. وَهُوَ يُرِيدُنَا أَنْ نَعْمَلَ الْمُسْتَقِيمَ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ عَوَاقِبَ الْعَمَلِ الْمُسْتَقِيمِ هِيَ صَالِحَةٌ. عِنْدَمَا يُعْلِنُ اللَّهُ عَنْ أَمْرٍ مَا أَنَّهُ خَطَأً، يُعْلِنُ هَذَا لِأَنَّهُ يَعْرِفُ عَوَاقِبَ إِزْلَاقِنَا لِإِقْتِرَافِ هَذَا خَطَأً.

تَحْذِيرَاتٌ مِنَ النِّسَاءِ الْمُغْرِيَاتِ

أَمْثَالُ ٥: ١٥-١٩ هُوَ مَقْطَعٌ مُوجَّهٌ إِلَى الشُّبَّانِ، وَهُوَ يُحَدِّثُهُمْ مِنَ النِّسَاءِ الْمُغْرِيَاتِ. تَعَلَّمْنَا هَذِهِ الْأَعْدَادَ أَنَّ أَفْضَلَ دِفَاعٍ ضِدَّ الْإِنْحِلَالِ الْأَخْلَاقِيِّ وَالزَّوْنِيِّ، هُوَ زَوْاجٌ نَاجِحٌ. فَيَنْبَغِي أَنْ يَشْبَعَ الشُّبَّانُ مِنْ مَحَبَّةِ زَوْجَاتِهِمْ طَوَالَ الْوَقْتِ. لِهَذَا كَتَبَ سُلَيْمَانُ يَقُولُ لِلشُّبَّانِ، "لِيَكُنْ يَنْبُوْعُكَ مُبَارَكًا وَافْرَحْ بِامْرَأَةِ شَبَابِكَ." (أَمْثَالُ ٥: ١٨). وَهَكَذَا يَدْخُلُ الشُّبَّانُ إِلَى الْعَالَمِ، فَلَا يَتَعَرَّضُونَ لِسِحْرِ النِّسَاءِ الْمُغْرِيَاتِ. وَهَكَذَا يَكُونُونَ غَيْرَ سَرِيعِي الْعَطْبِ، أَوْ غَيْرَ مُعَرَّضِينَ لِلسُّقُوطِ، لِأَنَّ حَاجَاتِهِمُ الْجَسَدِيَّةَ تَكُونُ قَدْ تَمَّتْ تَلْبِيئَتُهَا سَابِقًا فِي الْمَنْزِلِ. يُعْطِي سُلَيْمَانُ لِلرَّجُلِ الَّذِي يَنْزِلُ إِلَى حَيَاةِ الزَّوْنِيِّ اللَّأَخْلَاقِيَّةِ، يُعْطِيهِ سُلَيْمَانُ التَّحْذِيرَ التَّالِيَّ: "الشَّرِيْرُ تَأْخُذُهُ آثَامُهُ وَبِحِبَالِ خَطِيئَتِهِ يُمَسِّكُ. إِنَّهُ يَمُوتُ مِنْ عَدَمِ الْأَدَبِ وَبِفِرْطِ حُمَقِهِ يَنْهَوْرُ." (أَمْثَالُ ٥: ٢٢-٢٣).

ضَبْطُ النَّفْسِ

قَالَ سُلَيْمَانُ مُعَلِّمًا عَنْ أَهْمِيَّةِ ضَبْطِ النَّفْسِ: "إِذْهَبْ إِلَى النَّمْلَةِ أَيُّهَا الْكَسْلَانِ. تَأْمَلْ طَرَفَهَا وَكُنْ حَكِيمًا. الَّتِي لَيْسَ لَهَا قَائِدٌ أَوْ عَرِيفٌ أَوْ مُنْسَلِطٌ." (أَمْثَالُ ٦: ٦-٧) عِنْدَمَا نَكُونُ شُبَّانًا، يَرِافِقُنَا طَيْفٌ أَهْلُنَا وَمُعَلِّمِينَا، وَيُظْهِرُونَ لَنَا مَا هُوَ الْمُتَوَقَّعُ مِنَّا، وَيُحَاسِبُونَنَا عَلَى هَذَا

الأساس. ولكن عندما ننضج، يتوقع منا أن نحاسب ونراقب أنفسنا، وأن نمارس ضبط النفس. بحسب سليمان، بإمكاننا أن نتعلم ضبط النفس من النملة، التي بدون رقيب أو عريف، تخرن مؤونتها زمن الصيف والحصاد لباقي أيام السنة.

العطاء والأخذ

يوجد تعليم في سفر الأمثال ١١: ٢٤-٢٥، الذي يوازي تعليم يسوع. نقرأ في ذلك المقطع: "يوجد من يفرق فيزداد أيضاً، ومن يمسك أكثر من اللائق وإنما إلى الفقر. النفس السخية تسمن والمروي هو أيضاً يروي." يعلمنا هذا المثل أن نفوسنا تتغذى عندما نكون كرماء، ويسوء تغذيتها عندما نكون أنانيين. فإذا تمسكنا بكل ما نملكه، بإمكاننا أن نخسر كل شيء، ولكن إذا وزعنا وأعطينا بسخاء، نصبح أكثر غنى. لقد قدم يسوع هذا المبدأ نفسه عندما علم أنه علينا أن نخسر حياتنا لكي نربحها إلى الأبد (متى ١٦: ٢٤-٢٧؛ أعمال ٢٠: ٣٥). بحسب يسوع، إذا أردت أن تجد حياتك، عليك أن تخسرها عمداً، أي أن تسكبها، أو تضحي بها لأجل الله ولأجل الآخرين.

بإمكانك أن تتوقع أن تلتقط شذرات الحكمة من سفر الأمثال، لأنه كتاب حكم. تذكر أن هدف سليمان من جمع هذه الأمثال كان أن يصبح الحكماء قادة حُكماء، وأن يصبح البسطاء أكثر حكمة، وأن يصبح العامة عالمين كيف يعيشون حياتهم باستقامة.

بما أنه يوجد ثلاثون أو واحد وثلاثون يوماً في الشهر، يتوجب على الشبان قراءة أصحاب كل يوم على مدار أيام الشهر. وأنا أنصح بأن تقوموا بوضع لائحة من إثني عشر عموداً. وفوق هذه اللائحة، أي في أعلى هذه العواميد، أكتبوا عناوين المواضيع، مثل: ضبط النفس، النساء، تربية الأولاد، وهكذا دواليك. وبينما تقرأون عبر هذا الكتاب، ضعوا الشواهد الكتابية للأمثال التي تعالج هذه المواضيع. وعندما تنتهون من ذلك، سيكون لديكم فهرساً موضوعياً بالمواضيع الأساسية التي علمها سفر الحكمة هذا.

إن كلمات قلب، روح، ونفس، مذكورة سبعين مرة في هذا السفر، الأمر الذي يظهر إهتمام الله بقلوبنا، بأرواحنا، وبنفوسنا، عندما يريد أن يعلمنا كيف نعيش باستقامة. هناك مثل واضح، وهو المفضل عندي بين الكثير من أمثاله عندما أقرأ هذا السفر، وهو: "توكل على الرب بكل قلبك، وعلى فهمك لا تعتمد. في كل طرقك اعرفه وهو يقوم سبلك." (أمثال ٣: ٥-٦).

الفصل الخامس

سفر الجامعة

يُخاطَبُ سفر الجامعة قلوبَ شعبِ الله عندما يُفَتِّشُونَ عن أجوبةٍ على المُعضلاتِ المُستعصية في الحياة. إن كلمة "جامعة" تعني "الواعظ"، والسفر الذي سُمِّيَ بهذا الاسم هو بالواقع عظة ألقاها سليمان على الشبان في أواخر حياته. ونبرة عظته هي أنه بينما الخبرة هي مُعلِّمٌ مُقنِعٌ، ولكنها ليست المُعلِّم الوحيد. فليس علينا أن نتعلَّم كلَّ شيءٍ بالخبرة الشخصية. فيما أن هذه العظة هي السجلُّ الموحى به عن نوع الحياة التي عاشها الرجل الذي عُرف عنه أنه أحكم رجلٍ عاش على الأرض، والذي فتش بكلِّ حكمته ليجد معنى وهدف الحياة، لهذا استخدم الله هذه العظة "كالكلمة الأخيرة للحكمة" ليخاطب قلوب شعبه عندما يطلِّبون، يبحثون، يفَتِّشون ويتساءلون، وحتى يشكِّكون.

لمحة سريعة على العظة

إن سفر الجامعة هو السفر الشعري الثاني لسليمان. ألقى سليمان هذه العظة على شبان شعب الله عندما كان هو قد أصبح شيخاً متقدماً في السن. وكما تعلمنا في المزمور ١٢٧، عندما راجع سليمان حياته من وجهة نظر النضوج والشيخوخة، بما في ذلك الحكمة التي تعلمها على مدى السنين، اعترف بأنه عمل بجد، وكان مهتماً ببناء الكثير من الإنجازات ولكن بدون جدوى. هذه العظة هي نسخة موسعة للمزمور ١٢٧. فلقد ألقى عظته هذه لأنه تأمل أن يتعلم الشبان الذين كانوا يسمعونهُ من خبرته المأساوية.

ثلاثة أبحاث عن معنى الحياة

أخبر سليمان في سفر الجامعة شباب شعب الله أنه حاول أن يجد هدفاً ومعنى للحياة في ثلاثة مجالات، وأنه في نهاية كلِّ من محاولات البحث هذه، وجد الباطل والعدم. يفودنا هذا إلى كلمته المفضلة. ففي مزموره المُقتضب، الذي اعترف فيه بفشله، سمعناه يقول أنه من الممكن أن نفلق، وأن نعمل، وأن نبني، وكلُّه بدون جدوى. "فإن لم يبين الرب البيت، فباطلاً يتعب البنؤون. إن لم يحفظ الرب المدينة، فباطلاً يتعب الحارس. باطل هو لكم أن تُبَكِّروا إلى القيام مؤخرين الجلوس آكلين خبز الأتعاب." (مزمور ١٢٧) سوف نجد هذه الكلمة كثيرة الاستخدام في هذه العظة الموسعة لسليمان حول قصد ومعنى الحياة.

الثروات

يعظ سليمان قائلاً أنه فتش عن معنى وقصد الحياة من خلال تكديس الغنى والثروات، فأصبح أغنى رجل سبق وعاش على الأرض. ولكن، عندما نظر إلى غناه من

منظار كونه مائتاً، قال، "فَكَرِهْتُ كُلَّ تَعَبِي الَّذِي تَعَبْتُ فِيهِ تَحْتَ الشَّمْسِ حَيْثُ أَتْرَكُهُ
لِلْإِنْسَانِ الَّذِي يَكُونُ بَعْدِي." (جامعة ٢: ١٨)

لقد التقي سليمانُ بإنسانٍ غيبي في السوق، وأدرك أن الإنسان الذي سيرث ممتلكاته،
قد يكون غيباً تماماً كالإنسان الذي التقاه في السوق. هذه الحقيقة التي لا مفر منها عن هذا
الإحتمال الواقعي، قاد سليمان ليضع عنوان "باطل الأباطيل" على كل بحثه الناجح عن
الغنى.

الحكمة

عندما أدرك سليمان أن الغنى لم يكن قصداً أو معنى الحياة، كرس نفسه لطلب
الحكمة. وأصبح أحكم رجل عاش على الأرض، ولكنه لم يكتشف هدفاً ولا في بحثه هذا.
فكتب "باطل الأباطيل" على ثرواته، لأنه لم يستطع أن يأخذ ثرواته معه إلى القبر. ولم
يطل الوقت كثيراً حتى أطلق على بحثه عن قصد ومعنى الحياة بالحكمة، بأن هذا البحث
أيضاً هو باطل الأباطيل. هذا لأنه وجد أنه لا يستطيع ترجمة حكمته إلى سعادة: "لأن في
كثرة الحكمة كثرة العم والذى يزيد علماً يزيد حزناً." (جامعة ١: ١٨)

تمثال "المفكر" ليس صورة عن شخص سعيد. فالجهل هو قمة السعادة عند
الكثيرين، والسعادة البليدة هي سعادة راضية لأنها مبنية على الجهل. فيما أن بحثاً مركزاً
عن المعرفة لا يزيد من السعادة، أطلق سليمان على بحثه عن هدف ومعنى الحياة بواسطة
الحكمة عنوان: باطل الأباطيل.

اللذة

جرب سليمان طريقاً ثالثاً في البحث عن هدف ومعنى الحياة. فلقد إنصرف إلى
جنون اللذة والطرب والمرح، وهو قصد بهذا أنه خرج إلى العالم وتمتع بكل الملذات التي
وجدها فيه. قال، "ومهما إشتهته عيناى لم أمسكه عنهما. لم أمنع قلبي من كل فرح."
(جامعة ٢: ١٠) يا لهذا التصريح! فلم يسبق لأحد أن يسعى وراء اللهو وإشباع الذات كما
فعل سليمان. على أية حال، يقول لنا سليمان أنه عندما انصرف إلى الطرب والمرح، خرج
منها بالأسئلة التالية: أي خير تنتج؟ وأية منفعة منها؟ وماذا أحقق باللذة؟ لقد اكتشف سليمان
أنه في أعماق قلبه، كان يعلم أنه كان يوجد هدف آخر للحياة غير الترف واللهو والتمتع
باللذات نهاراً وليلاً.

الحكم

عندما وصل سليمان إلى نهاية عظمته لشباب شعب الله، كان استنتاجه مبنياً على بحثه الطويل في مجالات الغنى والحكمة واللذة. وكان استنتاج سليمان هو التالي: "فلنسمع ختام الأمر كله. إتق الله واحفظ وصاياه، لأن هذا هو الإنسان كله. لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة، على كل خفي إن كان خيراً أو شراً." (جامعة ١٢: ١٣ - ١٤). إن الفكرة وراء استنتاج سليمان مُعبّر عنها باللغة العبرية الأصلية أن خوف الله وطاعة وصاياه كالتالي سيجعل منك إنساناً كاملاً. فرأس الحكمة مخافة الله، لأنها تجعل من الإنسان يُصبح كما أرادَه الله أن يكون. هذا هو القصد الذي لأجله سعى سليمان في حياته.

لقد قادت الحكمة سليمان ليتيقن أنه لا بد أن تكون هناك دينونة مُطلقة، لأنه اكتشف خلال عظمته أن الحياة مليئة بالمظالم. فلقد ورث الناس الغنى الذي لم يكتسبوه بأنفسهم، والمظلومون لم يحصلوا على أية تعزية، والمتخومون لم يشعروا أبداً بالإكتفاء ولا بالرّضى. فالظلم، والتمييز، وإستغلال الفقير والذي ليس من يدافع عنه من الأشرار والأعبيهم، كل ذلك دفع سليمان للاقتناع بأنه لا بد وأن تكون هناك دينونة مُطلقة.

شذرات موحاة عن الحقيقة في سفر الجامعة

بينما تقرأ في سفر الجامعة، سوف تكتشف مساراً مزدوجاً للحقيقة. فهناك أوقات شكك بها سليمان، وأوقات أخرى تساءل بها عن الحقيقة، متظاهراً وكأنه ليس لديه أي إعلان من الله، وأنه كان يُفكر فقط كشخص غير روجي أو عالمي تماماً. وفي أوقات أخرى، فكر وتأمل سليمان كإنسان روجي ذي إعلان موحى به من الله. رُغم أن سليمان عبّر عن عدّة شكوك في إطار تلك الذهنية الأولى، فإن الحقائق التي عبّر عنها كإنسان آخر هي حقائق عميقة تُساعدنا على إكتساب مفهوم لقصد ومعنى الحياة.

نقرأ في مقطع في الإصحاح الثالث من سفر الجامعة: "لكل شيء وقت. ولكل قصيد تحت السماء وقت؛ فللولادة وقت، وللموت وقت؛ للزرع وقت ولقح المزرع وقت؛ للقتل وقت وللشفاء وقت." جامعة ٣: ١-٨. يُشبه هذا المقطع جملة صغيرة في المزمور الأول، التي تُخبرنا أن الإنسان المبارك يُشبه الشجرة المغروسة عند مجاري المياه، التي "تُعطي ثمرها في أوانه،" أي عمل الله في وقته في حياة الإنسان.

في الإصحاح الرابع، أعطانا سليمان حكمة جميلة عن الزواج. فهو يقول: "إثنان خير من واحد، لأن لهما أجرة لتعبيهما صالحاً، لأنه إن وقع أحدهما يُقيمه رفيقه. وويل لمن هو وحده، إن وقع إذ ليس ثاب ليقيمه. أيضاً إن اضطجع إثنان يكون لهما دفء، أما الواحد

فكيف يدفأ. وإن غلب أحدٌ على الواحدِ يقفُ مُقابلهُ الاثنانِ والخيطُ المثلوث لا ينقطعُ سريعاً." (٤: ٩-١٢)

عندما حطَّ اللهُ لعلاقةِ الزَّواجِ، أرادَ أن يكونَ الزَّوجُ و الزَّوجَةُ واحداً في الذَّهن والجسدِ و الرُّوح. لقد كانت حُطَّتُهُ ولا تزالُ أن يتمَّ التَّعبيرُ عنِ مَجَالِي الرُّوح والذَّهن، أن يتمَّ التَّعبيرُ عنهُما ببهجةٍ من خلالِ العلاقةِ الجسديَّةِ الجِنسيَّةِ. لربَّما كانَ هذا في فكرِ سليمانَ عندما قال، "الخيطُ المثلوث لا ينقطعُ سريعاً." إذا نُظِرَ بوجهةِ النَّظرِ هذه نحوَ الزَّواجِ، يكونُ الجِنسُ عندها أقوى شكلي من أشكالِ التَّواصلِ. فإذا لم تكنِ العلاقةُ الجسديَّةُ في الزَّواجِ تعبيراً عن أعمقِ مُستوياتِ الذَّهنِ والرُّوحِ، يكونُ الجِنسُ في هذا الزَّواجِ على مُستوى التَّواصلِ الحيوانيِّ.

يصفُ سليمانُ أيضاً في الإصحاحِ التاسعِ مدينةً أنقذتها نصيحةُ رجلٍ حكيمٍ: "مدينةٌ صغيرةٌ فيها أناسٌ قليلون. فجاءَ عليها ملكٌ عظيمٌ وحاصرها وبنى عليها أبراجاً عظيمة. ووجدَ فيها رجلٌ مسكينٌ حكيمٌ فنجى هو المدينةَ بحكمته. وما أحدٌ ذكرَ ذلكَ الرجلَ المسكينِ." (جامعة ٩: ١٤-١٥) يظنُّ سليمانُ أنَّ تجاهلَ المدينةِ لهذا الرجلِ الحكيمِ وعدمَ مكافأتهِ كانَ ظلماً. ورغمَ أنَّ جُهودَ الرَّجلِ الحكيمِ لم تُكافأ، ولكنَّ سليمانَ استنتجَ قائلاً: "كلماتُ الحكماءِ تُسمعُ في الهدوءِ أكثرَ من صراخِ المُتسلِّطِ بينَ الجُبالِ." فبالنسبةِ له، إنجازُ العملِ كانَ أكثرَ أهميَّةً من المدحِ الذي يُمكنُ أن يناله على إنجازِ العملِ.

وإذِ اختتمَّ سليمانُ سفرَ الجامعةِ، ينصحُ الشَّبَّانَ قائلاً: "فانكُرْ خالفك في أيامِ شبَّابِك." (١٢: ١) لقد عرفَ سليمانُ أنَّ الشَّبَّابَ هو مرحلةُ البركةِ و الإثمارِ، ولكنَّهُ عرفَ أيضاً أنَّ الشَّيخوخةَ تقترُبُ بسُرعةٍ. "أذكُرْ خالفك"، قالَ سليمانُ مُترجِّماً الشَّبَّابَ، "قبلَ ما ينفصمُ حبْلُ الفِضةِ أو ينسحقُ كوزُ الذهبِ... فيرجعُ التُّرابُ إلى الأرضِ كما كانَ وترجعُ الرُّوحُ إلى اللهِ الذي أعطاهَا." (٦، ٧) خيراً يفعلُ الشَّبَّانُ عندما يذكُرُونَ اللهَ ويعيشُونَ حياتَهُم بِشكْلِ مُستقيمٍ، لأنَّهُم سيَلتَقُونَ بوجهِ اللهِ في النِّهايةِ. وبعدَ كلِّ هذا، وجدَ سليمانُ أنَّ معنى الحياةِ يُوجدُ في تصرُّحه النِّهاييِّ: "إنَّقى اللهَ واحفظْ وصاياهِ، لأنَّ هذا هو الإنسانُ كُلُّهُ." (جامعة ١٢: ١٣)

الإصحاح السادس

نشيد سليمان

سفرُ نشيد الأناشيد هو السفرُ الأخير بين الأسفار الشعرية. لقد كتب سليمان ألفاً وخمسة أناشيد. هذا النشيد هو الوحيد الذي وصل إلينا منها، ولكنه جوهرة جميلة نجدُها تُرصعُ خاتمة الأسفار الشعرية في الكتاب المقدس. نشيد الحب هذا يُسجلُ قصة حبٍ وأحاديث حبٍ بين حبيبين. وبسبب الأحاديث الحميمة الموجودة فيه، مُنع الثبأن اليهود من قراءة سفر نشيد سليمان قبل أن يبلغوا الثلاثين من العمر.

كُلُّ هذا يجعلنا نتساءل: ماذا يفعل سفرٌ مثل هذا بين أسفار الكتاب المقدس القانونية الموحاة؟ هناك عدة أجوبة على هذا التساؤل عن سبب وجود هكذا سفر في الكتاب المقدس. الجواب الأول هو أن سفرًا مثل نشيد سليمان موجودٌ في الكتاب المقدس لأنه يُعلِّمنا قُدسية المصنوع الزوجي. ففي سفر التكوين، نقرأ أن الله قال، "ليس حسناً أن يبقى الرجل وحده." فخلق الله المرأة. وعندما خلق الله الرجل والمرأة، ذكراً وأنثى خلقهما، وجمعهما في اتحاد جنسي، ثم نقرأ الكلمات التي تقول، "فنظرَ الله إلى ما صنع وإذا هو حسنٌ جداً." فعندما خلقَ الله الجنس، أعلن أن الجنس "حسنٌ جداً."

لو لم يكن هناك معنى أعمق لنشيد الحب هذا، فإن الكلام عن قُدسية الجنس هي هامة بشكلٍ كافٍ ليُجعلَ هذا السفر يحتلُّ مركزه بين هذه الأسفار المقدسة التي ندعوها "الكتاب المقدس." من المهم جداً للوالدين أن يُعلِّموا أولادهم أن الجنس حسنٌ جداً. وأما نحن ككبار أن نُعلِّم أولادنا أن يحتفظوا بالجنس للعلاقة الزوجية حصرياً، دون أن نجعلهم يشعرون أن الجنس خطية. فإذا أقتننا أولادنا أن الجنس شرٌّ، قد نُعطِلُ إنسانهم مع الجنس في الحياة الزوجية. وقد نجعلهم يدخلون الزواج بأفكارٍ تقوية تجاه الجنس، مما قد يُعطِلُ حياتهم الجنسية في الزواج، ويمنعهم من إشباع حاجات الشريك الزوجي.

يُعلِّمنا نشيد الحب هذا أن الله يُبارك ويُوافق على المصنوع الزوجي والبركة الزوجية. فبينما تقرأون نشيد الحب لسليمان، سوف ترون تأكيداً على قصد الله من التعبير البهيج عن علاقة الجنس الحميمة بين رجلٍ وامرأة في إطار الزواج.

ولكن هناك مؤثرون أتقياء رأوا معنى أعمق في نشيد الحب هذا الذي لسليمان. فلقد رأوا توازياً عميقاً بين علاقة الحبيبين، وبين علاقتنا نحن مع الله ومع المسيح، التي تُوصفُ عادةً بأنها تشبه العلاقة الزوجية. إنهم يعتقدون أن نشيد سليمان قد وُضع بين أسفار الكتاب المقدس الموحى بها، كصورة مجازية عن محبة الله يهوه لشعبه إسرائيل القديم. وعندما تقرأ العهد الجديد، تكتشف أن هذه الإستعارة المجازية عن علاقة الحب مُطبقة أيضاً على

المسيح والكنيسة. فالمسيح هو العريس والكنيسة هي العروس (متى ٢٥: ١-١٣؛ ورؤيا ٢١: ٢، ١٧).

تطبيقات تعبدية لنشيد سليمان

مجازاً نهائياً نجدُه في نشيد الحبِّ هذا، ينطبق على علاقتنا الشخصية مع المسيح الحيّ. في العهد القديم، أمرَ شعبُ إسرائيل القديم بأن يُحبُّوا الله من كلِّ قلوبهم. ولقد أكدَّ يسوعُ هذا التعليم عندما سُئلَ عن أعظم وصية في الناموس (متى ٢٢: ٣٥-٤٠). فعلاقة المحبة الشخصية التي تربطنا مع الله ومع المسيح، مُعبَّرٌ عنها بشكلٍ مجازيٍّ جميلٍ من خلال علاقة الحبيبين. هذا التفسيرُ والتطبيقُ لنشيد سليمان قد يجعلُ من هذا السفرِ واحداً من أكثر أسفار الكتاب المقدس التعبدية، الذي يُعلِّمنا الكثير عن العلاقة الحميمة مع المسيح الحيّ المقام.

متوازيات تعبدية علاقتية في نشيد الأنشاد

ياخذُ العريسُ في سفرِ نشيد الأنشادِ عروسه إلى خبائه (١: ٤) ثم إلى بيتٍ وليمته (٢: ٤). هذا يعني تطبيقاً أنه ينبغي أن تكون علاقتنا مع المسيح حميمة، قبل أن تكون شعبية عامة. لقد ركَّزَ الربُّ يسوع على هذا في عظته على الجبل. فلقد انتقدَ يسوعُ أولئك الذين يُقدِّمون الصلاة العلنية، ويمارسون أعمال الخير العلنية، لأن صلواتهم وعطاءهم قُدمت لأجل الإنسان وليس لأجل الله. (متى ٦: ٥-٧)

كان تشديدُ يسوع على أن صلواتنا ينبغي أن تُصلى أمام الله في الحفاء، وأنَّ عطاءنا ينبغي أن يُقدَّم كما لله ويدون اسم المعطي. كتبَ مارتن لوثر ترنيمة ميلادية تُشددُ على الموضوع نفسه: "يا يسوع القدوس، الطفل الوديع، اتَّخذْ لنفسك مهذاً ناعماً طاهراً في قلبي، ليكونَ مخدعاً مُخصَّصاً لك." فهل قلبك هو مخدعٌ هادئٌ مُخصَّصٌ لیسوع؟

في كلِّ مرَّةٍ إنقطعَت فيها العلاقة أو الإتحادُ بينَ هذين الحبيبين في سفرِ نشيد سليمان، فإنَّ اتِّحادهم هذا لم يُكسرَ أبداً بإرادة العريس. هذه صورةٌ تنطبقُ على علاقتنا مع المسيح. وهذا يُشيرُ إلى كونِ علاقتنا مع يسوع المسيح ينبغي أن تكونَ إتحاداً مُستمرّاً، ولكن عندما تنقطع هذه العلاقة، يحدثُ هذا لأننا نكونُ نحنُ المسؤولين عن قطعها، وليس المسيح. فإنقطاع الشراكة مع المسيح لا يكونُ أبداً لأنَّ المسيح خائناً، بل لأننا نحنُ خناهُ وكُنَّا غيرَ أمناءٍ له.

عندما يزورُ العريسُ في نشيد سليمان عُرفة العروس، يُترَكُ واقفاً ينتظرُ في الخارج، أما العروس فتتلهى بوضع الأطياب على نفسها. أمَّا العريسُ فيتابعُ القرعَ باستمرار. عندما تنتهي العروس من نضح جسدها بالطيب، تذهبُ وتفتحُ الباب، ولكنها تجدُ

العريس قد ذهب. (٥: ١ - ٦) غالباً ما ننشغل بِمَسْحَةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، أو بِمَوَاهِبِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وبتغافلٍ عن علاقتنا مع مُعْطِي هذه الْبَرَكَاتِ الرُّوحِيَّةِ. وفي إنشغالنا بمظاهرِ مَوَاهِبِ الرُّوحِ الْقُدُسِ الرَّائِعَةِ، نتركُ عَرِيسَنَا وَاقْفًا خَارِجًا، وَهُوَ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ عِلَاقَةً حَمِيمَةً مَعَنَا.

إِنَّ الْعَرُوسَ فِي نَشِيدِ سُلَيْمَانَ تَفْهَمُ عَمَلَ عَرِيسِهَا: "لِنُبَكِّرَنَّ إِلَى الْكُرُومِ لِنَنْظُرَ هَلْ أَزْهَرَ الْكَرْمُ هَلْ تَفْتَحُ الْقُعَالُ هَلْ نَوَّرَ الرُّمَّانُ؟" (٧: ١٢) بِحَسَبِ قَوْلِ يَسُوعَ لِبَطْرُسَ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا، بِإمكاننا نحنُ أيضاً أَنْ نُعَيَّرَ عَنْ مَحَبَّتِنَا لِيَسُوعَ، وَذَلِكَ بِإِظْهَارِ إِهْتِمَامِنَا بِرِ عَيْتِهِ، وَبِرِ عَائِنَتِنَا لِخِرَافِهِ، وَبِمَحَبَّتِنَا لِلخِرَافِ الَّتِي يُحِبُّهَا هُوَ كَثِيراً (يُوحَنَّا ٢١: ١٥ - ١٧)

مَا هُوَ التَّطْبِيقُ الْأَسَاسِيُّ لِهَذَا الشِّعْرِ الْجَمِيلِ؟ إِنَّ نَشِيدَ الْحُبِّ لِسُلَيْمَانَ يَتَكَلَّمُ عَنْ لُغَةِ الْقَلْبِ، وَعَنْ أَهْمِ عَاطِفَةٍ، أَلَا وَهِيَ الْمَحَبَّةُ. وَهُوَ يَصِفُ أَهَمَّ عِلَاقَةٍ مَحَبَّةٍ يُمَكِّنُ أَنْ نَحْصَلَ عَلَيْهَا - عِلَاقَتِنَا مَعَ الْمَسِيحِ - بِإِضَاحِ مَحَبَّتِهِ لَنَا مَجَازِيًّا، وَتَجَاوُبِنَا نَحْنُ مَعَ مَحَبَّتِهِ.

لِكَيْ نَفْهَمَ عِلَاقَةَ الْمَحَبَّةِ الْفَرِيدَةَ هَذِهِ، عَلَيْنَا أَنْ نَبْدَأَ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ. هُنَاكَ مَكَانَانِ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ حَيْثُ نَجِدُ مَحَبَّةَ اللَّهِ مُحَلَّلَةً وَمَعْرُوضَةً. فِي إِصْحَاحِ الْمَحَبَّةِ الَّذِي كَتَبَهُ بُولُسُ الرَّسُولُ، وَإِصْحَاحِ الْمَحَبَّةِ الَّذِي كَتَبَهُ يُوحَنَّا الرَّسُولُ، نَجِدُ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَمَرَّرُ عِبْرَ عَدَسَةِ أَذْهَانِهِمَا الْبَشَرِيَّةِ الْمُوَحَاةِ، وَتَخْرُجُ مِنَ الطَّرْفِ الْأَخْرَ كَعُنُقُودٍ مِنَ الْقَضَائِلِ (١ كُورِنْثُوسَ ١٣؛ ١ يُوحَنَّا ٤: ٧ - ٢١). يُخْبِرُنَا كُلُّ مَنْ يُوحَنَّا وَبُولُسُ عَمَّا هِيَ مَحَبَّةُ اللَّهِ: لَا تُوصَفُ، لَا بَدِيلَ لَهَا، لَا مَثِيلَ لَهَا، لَا تَفْسُدُ، غَيْرَ مَشْرُوطَةٍ، لَا تُقَاوَمُ، مُوَحِيَّةٌ، رُوحِيَّةٌ، أَبَدِيَّةٌ، وَخَارِقَةٌ لِلطَّبِيعَةِ.

عِنْدَمَا نُحِبُّ بِهَذِهِ التَّوَعِيَّةِ مِنَ الْمَحَبَّةِ، تُصْبِحُ لَدِينَا الْإِمْكَانِيَّةُ لِنُحِبَّ زَوْجَاتِنَا، أَوْ لِأَدِينَا، أَهْلَنَا، وَأَوْلَادِنَا الَّذِينَ نَلْتَقِيهِمْ فِي حَيَاتِنَا وَالَّذِينَ تَصْعُبُ مَحَبَّتُهُمْ. يُعَلِّمُنَا نَشِيدُ سُلَيْمَانَ أَنَّ الْمَحَبَّةَ الَّتِي نَنْشَارِكُهَا مَعَ الْمَسِيحِ هِيَ مَحَبَّةٌ شَخْصِيَّةٌ، حَمِيمَةٌ، مُرَكَّزَةٌ، غَيْرُ أَنْانِيَّةٍ، مُتَبَادِلَةٌ، مُشْبَعَةٌ، بَانِيَّةٌ، غَيْرُ مُهَيَّدَةٍ، مُثْمِرَةٌ، وَلَا تَتَضَبُّ أَبَدًا.

الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس. لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملاً حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل